التكامل النفسي والإجتماعي لدى المواطنين الكويتيين أثناء فترة الإحتلال العراقي

الدكتور / بشير صالح الرشيدي (*)

ملخـــص البحـــث :

كان العـدوان العراقـي على الكويـت في أغسطس ١٩٩٠ فبرايـر ١٩٩١ بمثابـة كارثـة مجتمعية شابة، يتطلب التعامل معها تكامـلاً نفسياً واجتماعياً من أجل الحفاظ على الوجود الاجتماعي ومواجهة التهـديد، ولما كان مثل هذا التكامل يلقـي الضوء على أهم خصائص الشخصية الوطنية الكويتية، فإن الدراسة الحاليـة إستهدفت بحث مظاهر التكامل النفسي الاجتماعي لدى المواطنين الكـويتيين أثناء فترة العدوان العراقي. واعتمـدت الدراسة على إطار نظري بحيث تم تحديد مؤشرات التكامل التي ستخضع للبحث، وارتكزت الدراسة على خطة منهجية تناسـب الهدف منها، كما استخدمت استبانة مقننة وتـم إجراء مقابلات مع عينة عشوائية قوامها (٢٠٠) مفردة من المواطنين الكويتيين ذوي العشرين عاماً فأكثر. وتـؤكـد النتائج التـي تـوصلـت إليها الـدراسـة عمـق التجسيد العملي للتكـامـل النفسي الاجتماعي في المجتمع الكويتي أثناء فترة الاحتلال، ويتمثل ذلك في التعبير عن الإنتماء إلى الوطن، عدم تأثير الاختلافـات المذهبية أو العرقية على العمل الجماعي الهادف إلى المؤازرة والتسانـد لمواجهة صعوبـات الحياة، ثم مشاعـر التعاطف والتـواد والثقة المتبادلـة ، غلبة الإحساس الجمعي والاهتمام المشترك حيال القضايا والمشكلات الناتجة عن الاحتلال، قوة وعمق التواصـل داخل المجتمع رغم القيود التـي فرضتها قوات الاحتلال العـراقية. لقد كان التكامل النفسي الاجتماعـي في إطار مواجهة مشتركة ضد تهديد وخطـر خارجي تمثله رموز العدوان وقواته، ويفسر هذا التكامل في ضوء الاعتزاز بالهوية الوطنية، والإحساس المشترك بالخطـر مما يـدفع الجماعة إلى الاتحاد لمواجهتـه، بالإضـافة إلى الخصـائص النفسية والاجتماعية التي تكونت في الشخصية الكويتية وترسخت في أعماقها على مر السنين.

(*) كليـة التربيـة - جامعـة الكـويـت .

مشـكـلة الدراسـة :

يتم الحفـاظ على نظام الجماعـة من خلال تكـرار كل القواعـد والمعايير والقيـم المشتركة والتأكيد عليها دائماً، فـإذا لم يحدث ذلك أصبحت الجماعة عرضة لـلإنحلال والتفكك بعد وقت معين، لأن التوترات التـي سوف تحدث في هذه الحالة داخل الجماعة مـن ناحية وبين الجماعـة والبيئـة المحيطة مـن نـاحيـة ثانيـة سـوف تقضي على الجماعـه وتجعل استمـرارهـا مستحيلاً، ولعله مـن المفاهيم الأساسية ذات الصلـة الحيوية بالنسبـة للحفاظ على الجماعه تلك القيم والمعـايير الثقافية، وكذلـك ما يرتكز على تلـك القيم والمعايير من قـواعد تنظم العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص، بالإضافة إلى الأوضاع الاجتماعية والأدوار المرتبطه بها وعلاقات الدور، ولكن عندما نتحدث عـن قضية الحفاظ على الجماعة، فإن ذلك يعني بصفه خاصة ظاهرتين على أكبر جانب مـن الأهمية هما : تكامل الجماعه والتشكل النظامي للعمليات الاجتماعية، (محمد الجوهري ١٩٩٠)، وينتظم هاتين الظاهرتين إطار أوسع هو ما يعرف بالتكـامل النفسي والاجتماعي، وإذا كان هذا التكامـل من متطلبات الحفاظ على الجماعه في كل الظروف، فإنه أشد إلحاحاً أثناء الأزمات والمحن الكبرى التي تهدد المجتمع ككل والجماعات وكافة التنظيمات الاجتماعية به، وهذا ما حدث للمجتمع الكويتي عندما خبر محنة العـدوان العراقـي في الثاني من أغسطـس ١٩٩٠ . لقد كان هـذا العدوان كـارثة مجتمعيـة يتطلب التعـامـل معها - ضمـن آليـات أخرى - تكـامـلاً "نفسياً" بين الأفـراد والجماعات بما يصب في الإتجاه العام الهادف إلى حفظ الوجود الإجتماعي ومواجهة التهديد الخارجي. هـذه الدراسة تبحـث بعض جوانـب التكامل النفسي والإجتماعـي في المجتمع الكويتـي أثناء فترة العـدوان العراقـي، حيث تتمثـل جوانـب المشكلة البحثيـة في تساؤل رئيسي : ما هي رؤية المواطن الكويتي للتكامل النفسي والاجتماعي وخبرته المباشرة أو غير المباشرة بهذا التكـامل أثنـاء محنة العـدوان العراقـي؟ ويتضمن هـذا التساؤل بحـث معاني التكامل التي أرستهـا النظريات النفسية والاجتماعية من حيـث مدى التجسيد العملي لهذه المعاني في السلوك الاجتماعـي للمواطنين الكويتيين أثناء فترة العدوان العراقـي، قد يكون ذلك في صـورة علاقات اجتماعية تـواصلية قويـة تسودها الثقة والمودة والألفـة والتضحية والإحساس الجمعـي ونبذ الإختـلافات العـرقية والمذهبيـة، وقد يكـون في صورة إدراك صحيـح لمعنى الإنتماء إلى الـوطن بما يشكـل دافعاً إلى سلـوك البقاء والـوجود الاجتماعـي

الأفضل، كما قد يكون التجسيد العملي لمعاني التكامل في صورة إحساس المواطنين بقيمتهم الذاتية والإنسانية جراء الجهود التي بذلت من قبل المجتمع والدولة لتخفيف صعوبات الحياة اليومية بسبب الإحتلال، وقد يكون في صورة إدراك إيجابي حقيقي لدور المنظم الاجتماعي وتوالد التآزر الاجتماعي في الموارد المتاحة في اتجاه تحقيق الأهداف الجماعية والأماني الوطنية ... الخ. إن كل هذه المعاني تمثل مجال البحث الحالي بما يلقي الضوء على بعض خصائص الشخصية الكويتية في التعامل مع تحديات مصيرية مرتبطة بالعدوان العراقي على الكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ .

أولاً : الإطار النظري للدراسة

(أ) متضمنات التكامل النفسي والإجتماعي :

يعتبر التكامل بالمعنى الرياضي أساساً منطقياً جداً للتكامل في معناه النفسي والإجتماعي، فالتكامل بالمعنى الرياضي هو - ببساطة - تجمع جزئيات صغيرة لتكوين وحدة شاملة، بحيث تظهر في كل جزئية الخصائص الرياضية لتلك الوحدة، ومن خلال تكامل الجزئيات يمكن التعرف على القوانين الأساسية التي تحكم خصائص (الكل)، وإذا كان المعنى الرياضي للتكامل - يتضمن أساس التكامل في المجال النفسي والإجتماعي، إلا أن هناك بطبيعة الحال إختلافاً في الخاصية والميكانيزم بين المعنيين. فالتكامل بالنسبة للكائن الحي يختلف مثلاً عن التكامل بالنسبة للآلة، إنه في الكائن الحي ذو طبيعة ديناميكية متجددة، بينما هو في حالة الآلة تكامل ثابت في النوعية والتوقيت. كما أن التكامل هو الصفة الأولى والرئيسية للمادة الحية بما يضمن لها البقاء والإبقاء على خصائصها الحيوية، فإذا فقدت هذه الخاصية - التكامل - تعرضت المادة الحية للموت والفناء، ولعل هذا واضح فيما يحدث للخلايا الحية عندما تصاب بالسرطان مثلاً، إنها تفقد بذلك أهم مقومات حياتها فتموت . التكامل إذن هو الشرط الأساسي للبقاء (Calboun, 1991) .

ومن المنظور النفسي يستخدم مفهوم التكامل كثيراً في دراسات الشخصية، وينظر إليه باعتباره العملية التي تكتسب الشخصية بواسطتها الوحدة والتكامل والإتزان، كما أنه المبدأ الذي يضفي المعنى على الظاهرة الإنفعالية ويرسم للسلوك إتجاهه ويدخل المنطق الذاتي في الجهاز النفسي. وحسب المنظور النفسي، فإن التكامل الناجح يتجلى بالتساهل

الحسن مع الجزع، بمعنى أن الشخص المتمتع بصحة عقلية مُرْضية يجابه الحياة دون أن يكون تكامله دوما موضع تساؤل، ويمكنه أن يعاني من التوتر فتظهر لديه العوارض في بعض المناسبات المفجعة ولكن على مراقبته النفسية أن تحتفظ دائماً بفعاليتها، إن جهازه الدفاعي يعرف كيف يستخدم أسلم الميكانيزمات كالإعلاء والتعويض. كما يرى العلماء النفسيون أيضاً أن التكامل حصيلة تطور لا ينتهي أبداً، تطور يجعل من الطفل راشداً، ويتركز هذا التطور بين قطبين هما التبعية والإستقلال، والشخص المستقل هو الذي تجاوز مراحل تكوُّن شخصيته دون تعلق أو تشابك غير صحيح بين نمط شخصيته في مراحل النمو المختلفة، ونجح في التخلص من رواسب الطفولة، فأصبحت علاقاته مع المحيط تتم على نمط من الإستقلال، وهو قادر على إتخاذ القرارات والإضطلاع بالتبعات، كما أن مواقفه مع الأشخاص لا تميل إلى إرضاء حاجاته العاطفية على حساب الغير، وتكون نشاطاته خلاّقة ومبعث كفاءة، ويمثل تكامل الشخصية معياراً أساسياً للصحة النفسية، فهو من جهه يمثل نقطة وصول تكون الشخصية ليذوب في تلك الصفة النادرة ألا وهي «النضوج» وهو من جهة ثانية يضفي المعنى الحقيقي على موقف الشخصية من (الآنا) وكذلك على الإتصال بالواقع باعتبارهما من معايير الصحة النفسية (كلوتيه، ١٩٩٢)، وهكذا يتضح لنا التداخل في الخصائص النفسية والاجتماعية لمفهوم التكامل ومتضمناته.

وفي الاستخدام الاجتماعي لمفهوم التكامل، نرى أنه يعبر عن تآزر مجموعة من الوظائف الحيوية (البيولوجية أو السيكولوجية أو الاجتماعية) في سبيل الإبقاء على وحدة الكل وبذلك يكون لدينا في نهاية الأمر كائن حي أو شخصية أو مجتمع وليس مجرد مجموعة من الخلايا أو القدرات والملكات أو الأفراد، كما أن التكامل بالمعنى الاجتماعي يتضمن التغاير وهذا يعني اختلاف الوظائف والأدوار مما يدل على أن التكامل سمة للكائن الحي وليس مجرد حالة، الأمر الذي يؤكد أن المجتمع المتكامل، ليس فقط هو المجتمع المستقر، ولكن أيضاً هو المجتمع الذي لا يتضمن الجمود أو الثبات، وبجانب عملية التآزر والتضامن التي تتضمنها صفة التكامل، فإن هذه الصفة تتضمن أيضاً (الائتمار) بمعنى وجود سلطة وتابعين، وخضوع الجمع لسلطة معينة، وهذه الفكرة (الاجتماعية) ذات أساس نفسي فيزيولوجي وهو خضوع المراكز السفلى لسلطة بعض المراكز العليا في الجهاز

العصبي. من كل هذه المنطلقات نجد أن هناك بعض التعريفات التي وضعت لمفهوم التكامل الاجتماعي (Social Integration) بأنه تلك العملية التي يتواءم بها الفرد في جماعة إنسانية، وهو عملية توحيد مختلف العناصر في المجتمع (كمال دسوقي، ١٩٨٧)، فالسلوك المتكامل اجتماعيا ينطبق على الاستجابات التي تتميز بالمرونة، أي على السلوك الذي يحاول أن يبرز الاختلافات القائمة ويلتمس منها أهدافاً مشتركة، وهذه الفكرة تعبر عن التكامل الذي يسود المجتمعات الحضرية ألا وهو التكامل العضوي الذي قوامه التفاعل والتبادل بين شخصيات المجتمع المتباينة (Chatters & Taylor, 1990) .

ومن المعاني المرتبطة بالتكامل الاجتماعي - على مستوى الفرد - استيعاب الاهتمامات ومواجهة الأزمات والمشاركة في حل المشاكل، واكتساب أو تعلم المهارات الاجتماعية لكسب الأصدقاء، والقدرة على التدعيم، وأداء الالتزامات والمجاملة والتعبير عن المحبة، كما يتضمن التكامل الاجتماعي نوعاً من الإنتماء إلى وجود اجتماعي معين وكذلك علاقات مع متصل متدرج من القوة من حيث كونها مصدراً للشعور بالرضا وفق ما تحمله من مودة وألفة وتواصل وثقة متبادلة واطمئنان الفرد على قيمته الذاتية، أما من حيث ميكانيزم التكامل الاجتماعي فإنه في بعض جوانبه عملية ارتقائية لأنه يمر بمستويات تبين درجات متفاوتة في كفاءة الكائن الحي أو النظام الاجتماعي الذي تتحقق من خلاله هذه العملية ويتم انتقالها بفعل عمليات التغاير التي تتجه بالتآزر من مستوى معين إلى مستوى تآزري جديد أكثر ارتقاء وكفاءة (أرجايل، ١٩٩٣)، (مصطفى سويف، ١٩٨١).

ويرتكز التكامل الاجتماعي على أسس نفسية وبنائية في النسق الاجتماعي عبر مراحل تطوره المختلفة، وتتضمن الابعاد النفسية خصائص العمليات النفسية الجارية داخل الآنساق من التغير والتطور، الأمر الذي يتطلب أن نأخذ الجانب التاريخي في الحسبان عند دراسة هذه الأنساق من التغير والتطور ، بحيث يمكن تفسيرها من حيث كونها مستقرة ومتطورة في آن واحد، ولعل هذا يفسر اعتماد بعض الدراسات المعنية بالنسق الاجتماعي على المنهج الوظيفي البنائي الذي يرتكز على النظرة التكاملية والشاملة في دراسة المجتمع بحيث يأخذ الباحث في اعتباره العلاقات الاجتماعية المتشابكة وصلة هذه العلاقات بالنظم الاجتماعية القائمة وإبراز خاصية التساند البنائي، مع الإهتمام بالبعد التاريخي في النسق الإجتماعي محل الدراسة للتعرف على عوامل استقراره وتطوره (سهير يوسف، ١٩٨٧).

أما الأسس البنائية للتكامل الاجتماعي، فإنها تنطلق من النظرية الجشطالتية ثم دراسة التفاصيل، وكذلك دراسة الوظيفة الكلية للبناء الاجتماعي قبل أن ندرس وظائف أجزائه (محمد غيث، ١٩٨٧). وحسب هذه النظرية يتعين أخذ أجزاء الكل بعين الاعتبار، وكذلك الأجزاء في علاقاتها بالكل، فالعضوية كل منتظم وليست مجرد مجموع لأجزاء أو أعضاء، وليس سلوكها مجموعاً بسيطاً لاستجابات وذلك لأنها تتصرف ككل، لقد حرص أصحاب نظرية الجشطالت على «الكليات المنظمة» وجعلوها مبدأهم الهادي في البحث (فاخر عاقل، ١٩٨٧). أخيراً، فإن التكامل الاجتماعي يتعامل مع الأنساق والأبنية الاجتماعية نظرة التطور والدينامية، فالحياة الإنسانية تجمع في خصائصها بين الإستقرار والتطور، ويعتمد هذا التطور على التواصل والابتكار وتكون العادات الاجتماعية بصفة مستمرة ومتراكمة، وقد اهتمت بعض فروع علم النفس بتفسير كيفية انتقال الإنسان من طور الفردية البيولوجية إلى طور السيكلوجية الاجتماعية، ومن هنا فإن تفسير نمط التكامل القائم لا يكون كافياً ما لم يتضمن التفسير الأسباب والعوامل النفسية والاجتماعية لهذا الانتقال وكيفيته، لأن هذه الأسباب والعوامل هي التي تلعب دوراً ملموساً في جانبين رئيسيين يتم من خلالهما تطور المجتمع الإنساني، ألا وهما التواصل (Communication) والإبتكار (Creativity)، ويؤكد ذلك واقع التطور في جماعات بمجتمعات متعددة، وكذلك واقع التطور بين المجتمعات الإنسانية بوجه عام، فمن خلال التواصل بين علماء اليونان وعلماء مصر القديمة مثلا تطورت العلوم وأضيف إليها الإبتكار، ثم عاد التواصل فيما بعد بين العلماء العرب وعلماء اليونان ونشطت الترجمة لتحقيق تواصل أفضل، وأضاف الابتكار العربي الكثير للعلوم المنقولة واستمر التواصل لتنهض أوربا وتستمر نهضتها ويتراكم رصيد الحضارة الإنسانية من الإبداع والإبتكار.

(ب) آليات التكامل النفسي والاجتماعي في المجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي:

إنطلق التكامل الاجتماعي في المجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي من مبدأ ثابت يمثل وحدة الهدف بين جميع فئات الشعب ويتضمن هذا الهدف جوانب ثلاثة هي: التمسك بالوطن والشرعية، الحفاظ على الوطن والتمسك بالهوية الوطنية، رفض العدوان ومقاومته بكافة السبل بما في ذلك الحفاظ على الصمود الشعبي. لقد كان هذا الهدف بجوانبه يمثل الالتقاء السيكلوجي والاجتماعي والسياسي للمواطنين في الداخل

والخارج، كما كان يمثل جانب الالتقاء بين إرادة الشعب الكويتي وإرادة المجتمع الدولي. وقد أدركت قوات العدوان ورموزه حقيقة رسوخ الهدف المشار إليه في الشخصية الكويتية فحاولت زعزعة هذا الرسوخ بعدة طرق تمزج بين العوامل التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي - لكن هذه المحاولات فشلت أمام حقيقة رسوخ الهدف العام في ضمير الشعب والقيادة والالتزام به قولا وفعلا. في هذا الإطار - كانت آليات التكامل تعمل في اتجاه تحقيق الهدف العام بما في ذلك استيعاب جانب التغاير الاجتماعي لتصب كل الجهود في ذات الاتجاه (بشير الرشيدي، ١٩٩١، وصلاح الغزالي، ١٩٩٢) ويمكن رصد أهم آليات التكامل الاجتماعي فيما يلي :-

(١) ظهور جماعات العمل وتطورها الدينامي :-

كان من تداعيات حدوث العدوان العراقي تعطيل جميع القوانين والنظم واللوائح الضابطة للحياة المدنية والمنظمة لها في المجتمع الكويتي، ومع هذا التعطيل حدث تفكك مجتمعي من نوع ما، حيث لم يعد هناك محددات ضابطة لمسارات السلوك والنشاطات في المجتمع، وكان رد الفعل الاجتماعي على هذه الحالة من عدم التنظيم أن ظهرت جماعات عمل لخدمة هدف أساسي واحد هو رفض العدوان ومقاومته وإدارة شؤون البلاد. فتشكلت جماعات تدير الجمعيات التعاونية لتوزيع المواد الغذائية، وجماعات أخرى لتجميع القمامة في أماكن بعيدة وحرقها، وجماعات تنتج المنشورات التي تعالج مشكلات المجتمع وترفع من الروح المعنوية وتدعم عملية الصمود والمرابطة، وجماعات أخرى كانت تنزل إلى ميدان المقاومة المسلحة، بهدف إقلاق قوات الاحتلال وتكبيدها خسائر مادية وبشرية لتجسد معنى الصمود والبقاء والإصرار عليه، ولتبين الرفض المستمر للإحتلال وطمس الهوية كما تشكلت جماعات للخدمة الاجتماعية المتمثلة في القيام بالتمريض للمرضى المصابين والعناية بالعجزة والمسنين، والمحافظة على إمدادات الماء والكهرباء وحاولت جماعات أخرى الدفاع عن ثروات الكويت الطبيعية من النفط، والتي حرص الكيد العراقي الغاشم على استغلالها والاستئثار بها أو تدميرها لحرمان الشعب الكويتي منها، كما قام الشباب الكويتي لأول مرة بأعمال الميكانيكا وإصلاح السيارات

بصورة تطوعية تهدف إلى إبقاء السيارات الكويتية تعمل بكفاءة لتخدم أغراض التكامل الاجتماعي والتكافل الاجتماعي والصمود .

وكانت سلوكيات هذه الجماعات منطلقة في اجتهاداتها في بناء دينامي وتكامل في العمليات وأهداف مشتركة وكان الابتكار سمة بارزة وواضحة في عملياتها ومنطلقاتها، ومن الأمثلة البارزة على ذلك قيام مجموعة من الشباب الكويتي بتسلم شركة المطاحن والمخابز الكويتية مما ساهم في منع سلطات العدوان العراقية من الإستيلاء عليها طوال فترة الاحتلال حتى السادس عشر من يناير ١٩٩١ عندما طردت قوات العدوان هؤلاء الشباب لمنع وصول الخبز إلى أفراد المجتمع الكويتي . قبل هذا التاريخ أصدرت قوات الاحتلال الغاشم قراراً بتخصيص ٥٠٪ من الإنتاج للجيش العراقي، ولم تقف هذه القرارات حائلاً أمام ابتكار وإبداع الشباب الكويتي، الذي استطاع أن يتلاعب بعدادات الإنتاج بحيث يظهر الإنتاج بقدر ٦٠٠٠ خبزة تأخذ منها قوات الإحتلال ٣٠٠٠ خبزة، ويوزع الباقي وقدره ٣٠٠٠ خبزة على الشعب الكويتي في حين أن الإنتاج الحقيقي كان يصل في بعض الأحيان إلى ١٤٠٠٠ خبزة بحيث يمكن توزيع ١١٠٠٠ خبزة على الشعب الكويتي (الغزالي، ١٩٩٢، جـ١ : ص . ١٣).

ويلاحظ أن عمليات هذه الجماعات بدأت تلقائية، مجرد تجمعات محدودة بمناطق سكنية يقودها أئمة المساجد أو العاملون في الجمعيات التعاونية، ولكن مع مرور أيام الصدمة الأولى للعدوان بدأ البناء الدينامي للمجتمع الكويتي في التفاعل، وبدأت عمليات التكامل تتضح، وتطور التكامل من الجزئية إلى الكلية ومن الفردية إلى الجماعية ومن الاجتهادات الشخصية إلى الإنضباط الجمعي، وبدلا من الجماعات النفسية المنفصلة بدأ يظهر بناء دينامي اجتماعي يتميز بالائتمار والانضباط الجمعي، لضبط العمليات ورفع كفاءة الأداء والحفاظ على الذات. وقد تمثل ذلك في تنظيم توزيع المواد الغذائية والمواد الأساسية مثل اسطوانات الغاز وغيرها من الخدمات وذلك وفق تعليمات قيادية ومن خلال شبكات اتصال منظمة ويجد الراصد لهذا التطور، كأنما المجتمع الكويتي قد انتقل إلى طور الجماعة المنظمة في عمليات فرضتها ظروف الاحتلال الصعبة، وبرزت الشخصية السيكولوجية الاجتماعية الكويتية، والتي تأثرت بعوامل التنشئة الاجتماعية وتطورها عبر السنين فظهر الطابع الاجتماعي السائد لهذه الشخصية في كل عمليات التكامل.

(٢) تقسيم العمل وتوزيع الأدوار :

وهو من أهم العوامل في التكامل الاجتماعي بالمجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي، حيث قامت الجماعات بتنظيم نفسها، وتحديد أهدافها، وإتاحة الإمكانيات التي تمكن من انجاز هذه الأهداف سواء كانت خبرات بشرية أو مادية مثل الأموال والأسلحة والذخائر والمتفجرات ... الخ. لقد قام المرابطون مثلاً بتقسيم الكويت إلى عدة مناطق، وربطها ببعضها اتصالياً ونفسياً واجتماعياً، حين وجد القائمون على التخطيط أن الانتقال من نمط الاهتمام بالفرد أو الأسرة إلى نمط الاهتمام التكاملي بالمنطقة أو عدة مناطق سكنية، يسهل عليهم حماية الفرد وحفظ الأسرة وزيادة فاعلية كل منطقة على حدة، وأن تبادل المعلومات والخبرات بين المناطق في التعامل مع جنود الاحتلال يوفر الجهد والمال والمعاناة ويجنب الوقوع بالشراك التي ينصبها العدو، وكلفت جماعات بتبادل أرقام الهاتف والعناوين لأصحاب الاختصاصات الحيوية كالأطباء والفنيين في مجال الكهرباء والماء والأدوات الصحية، وذلك للاتصال بهم والحصول على مساعدتهم في أي منطقة سكنية في الكويت، وقد ساعد هذا التنظيم مع تقسيم العمل على إبقاء الوحدة التكاملية الاجتماعية وتقوية العنصر السيكولوجي الاجتماعي للتكامل، إذ أصبح من الممكن الإبقاء على مستوى معقول من الخدمات ومن التواصل والدعم والتضامن بين جميع طبقات الشعب في جميع المناطق.

هذا بالنسبة للتنظيم وتقسيم العمل بصفة عامة، أما بالنسبة لكل جماعة فقد قامت فيما بينها بتقسيم العمل وتنظيمه بين أفرادها، ومن هذه الجماعات ، جماعة الإمدادات أو العاملين في الجمعيات التعاونية حيث كان يقوم فريق منهم بالإتصال بالأسر وخاصة التي يكون عائلها خارج الكويت، للتعرف على احتياجاتهم التموينية ويتم توفير هذه الاحتياجات ونقلها إلى منزل تلك الأسر ويتم التمويل بصورة جماعية من الأسر القادرة أو الأفراد بحيث لا تحرم أسرة من مقومات الحياة لعدم توفر سيولة نقدية لديها، وهناك جماعة المخابز، يقوم البعض بالإنتاج وتغيير أرقام العدادات وتوزيع الفائض الذي يمكن تهريبه على الأسر في منازلهم دون تحميلهم مشقة الحضور إلى المخابز، كما تقوم جماعات الخدمات الطبية بنقل المصابين أو المحتاجين إلى رعاية طبية خاصة إلى المستشفيات أو إلى الأماكن غير المعروفة لدى جنود الاحتلال للعلاج والعناية الطبية.

كما تجسد مبدأ تقسيم العمل وتوزيع الأدوار داخل الجماعات العسكرية المسلحة بما انعكس على التكتيكات التي اتبعتها تلك الجماعات في مقاومة المحتل، فقد حددت كل جماعة لنفسها هدفاً واضحاً لا تنازل عن تحقيقه، فجماعات المقاومة مثلاً كان هدفها عدم استقرار عناصر الاحتلال وتكبيدها الخسائر بما تفقد معه أعصابها وتوازنها فتلجأ إلى التحركات العشوائية، وتصبح هدفاً أسهل لمزيد من الضربات والخسائر المادية والبشرية. وقد اشترك في تنفيذ هذه المخططات جماعات من مختلف الفئات الاجتماعية، كما اهتمت بعض الجماعات بالعمل على إضعاف الروح المعنوية لعناصر قوات الاحتلال فكانت تلجأ إلى استمالة تجمعات منها والجلوس إليهم والدخول معهم في حوار لإقناعهم بعدالة قضية الكويت والكويتيين وتغرير قياداتهم السياسية لهم وتشكيكهم في نوايا تلك القيادة السياسية في التوسع والسيطرة على حساب أرواح أبناء العراق وأبناء الكويت الذين هم الضحية المشتركة لرعونة القيادة السياسية العراقية. ويتفق الهدفان العسكري والمعنوي في إضعاف قدرة القوات الغازية على السيطرة وفرض إرادتها وبذلك يخدم الهدفان، هدف إبقاء الهوية الكويتية وتدعيم صمودها.

(٣) تدعيم التواصل الاجتماعي :

لسنا في حاجة إلى تأكيد أهمية التواصل في التكامل الاجتماعي، وليس من المبالغة القول بأن هذا التكامل في حد ذاته هو عملية تواصل، ويمثل التواصل في المجتمع الإنساني حاجة اجتماعية، فهو من متطلبات أي تجمع بشري، كما أنه أداة سياسية، حيث إن فهم الاتصال في المجتمع يقتضي فهم المرجعية السياسية، ويكفي أن الإطار الذي يتم الاتصال بداخله تحدده في نهاية المطاف الصراعات السياسية والاجتماعية التي شكلت اتفاق الرأي الاجتماعي في مجتمع معين، والتواصل طاقة اقتصادية، حيث يتداخل مع الاقتصاد ويعتمد عليه بعدة طرق في بنيته ومحتواه، كما أن التدفق المستمر للمعلومات أمر حيوي للحياة الاقتصادية، والتواصل كذلك طاقة تربوية، إذ إن وجود الاتصال في كل مكان في المجتمع الحديث هو علامة على ظهور إطار جديد للشخصية يتسم بطابع تربوي قوي، ويكفي أن التطور السريع للاتصال في معظم بلدان العالم بالتضافر مع انتشار المعالجة الآلية للمعلومات أدى إلى فتح آفاق جديدة ومضاعفة الروابط بين التربية والاتصال (اليونسكو، ١٩٨١)، من الواضح أنه إذا كان التواصل من سمات أي تجمع بشري، إلا

أن دور التواصل في المجتمع الحديث أصبح أكثر حيوية وأهمية، وتزداد المسألة إلحاحاً في فترات الصراع والأزمات بأشكالها المتعددة، وتصدق تلك الفكرة على المجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي، لقد عملت قوات العدوان على تدمير موارد الاتصال وطاقاته في المجتمع للحيلولة دون تواصل الأفراد والجماعات، فكأنها بذلك تهدف إلى إحداث شلل في عصب المجتمع. كان رد الفعل الاجتماعي نابعاً، ليس فقط من ضرورة مقاومة العدوان، ولكن أيضاً من ضرورة التواصل كحاجة إجتماعية وطاقة تربوية واقتصادية وأداة سياسية، وتتلخص أهم مظاهر رد الفعل الاجتماعي في إيجاد قنوات تواصل داخل المجتمع، وكذلك بينه وبين العالم الخارجي، وذلك من خلال تدعيم وتسهيل الاتصال داخل جماعات العمل وفيما بينها بالإضافة إلى نظام اتصال داخلي (عام) من خلال عدة مسارات يتمثل أهمها في المسجد، النشرات والملصقات، الاتصالات الدولية.

(أ) المسجد:

ما إن حدث العدوان العراقي الغاشم، حتى كان المسجد هو التجمع الاتصالي الذي سمع فيه الناس أولى الكلمات والمعاني التي يحتاجونها، ففي ذلك الجو النفسي العاصف، كان لابد من وعظ الناس وتهدئتهم بعد انقطاع كل وسائل الإعلام الأخرى، لذلك بدأ الوعظ عقب كل صلاة، وبدأ توجيه الناس لكل شؤون الحياة من بث الإرشادات والتعليمات، من خلال المسجد، والذي أصبح نقطة إنطلاق فيها معاني العبادة، وفيها مداولة الرأي، حول أنسب القرارات، والخطوات الواجب اتباعها.

وكان المسجد - حقيقة - نقطة تواصل فعالة بين الناس، وأساس تكوين لجان التكافل، ومنطلق تنظيم العمل الشعبي من خلال الأنشطة التي تجري به، حيث يمارس الناس الصلوات الخمس ويستمعون إلى خطب الجمعة، وإلى الأحاديث الدينية، وإلى تنظيم الدروس والمعاني الإيمانية وقد ذهب ضحية التطوع في المساجد للوعظ والإرشاد عدد من الشيوخ والشباب الذين نذروا أنفسهم لله إلى إعتقال بعضهم وقتل البعض الآخر.

(ب) النشرات والملصقات:

نشطت التحركات الإعلامية في الكويت منذ الأيام الأولى لوقوع العدوان حيث

بـدأت التجمعات الشعبيـة بإصـدار النشرات التـي تعبر عن آرائهـا وتطمئن الأفـراد والجماعات وتنشر الوعي بين صفوفهم، وكان من أهم النشرات ما يلي :

- *المرابطــون :*

جريـدة «المرابطون» صدرت في الكويـت أثناء فترة العدوان العراقـي على دولة الكويـت وأصدرتها لجان التكـافل وهـي البديـل لمجلة «المجتمـع» حيث حـددت أهدافهـا في تثبيت النـاس وحثهم على الربـاط ومتابعـة الأخبار وتمحيصهـا، رفع الروح المعنوية، دعم وحدة الصف، ومحاربة الإشاعات، تشجيع العمل التطوعي بين الشباب الكويتي.

- *هيئـة تحـرير الأحـداث اليومـية :*

أسستها لجان التكافل لهدف تزويد الإعلام الخارجي بالأخبار التي تجري داخل الكويـت، وقد كـان الهدف منها التأثير على الـرأي العام الخارجي وكـانت تـرسل (بالستلايت) وكانت المواضيع تتعلق بالجانب المدني الإنساني.

- *مجلة الكويت ... الرأي الآخر :*

لقد كانت الحرب الإعلامية، والإصرار على كسب المعـركة قضية أساسية أثناء العـدوان العراقـي على دولـة الكويـت، وكـانت وسـائل الاتصـال تتنوع حسـب الأوقات والإمكـانيات فكانت مجلـة «الكويت ... الرأي الآخـر» نوعاً جديـداً من التواصل بين أبناء الكـويت عبر الكاسيت فهي «مجلة صوتية» ابتكـرها أحد الأفراد عندمـا تشددت الرقـابة على توزيـع المنشورات المقـروءة، وكانت أحكـام السجن والقتل قضايا سهلة الإصدار على أولئك الذين تضبط معهم المنشورات .

- *الصمود الشعبي :*

تكاد تكون أول جريدة تصدر أثنـاء العدوان وامتازت تلك النشرة بعدة ميزات وهي أنها الأكثـر انتشارا وتـوزيعا ولها العديـد من المراسلين في أنحـاء متفرقـة من الكويت وكانت الأكثر استمرارا وصدورا بين النشرات التي صدرت آنذاك.

- *نشرة «صوت أبناء جابر الكويت» :*

وهي مـن النشرات النشطة التـي عملت على إصـدارها إحـدى نساء الكـويت

وبذلت الجهد في توزيعها في الكويت والعراق حيث تم العمل على وضعها في الأماكن العامة وقد كانت نشرة أسبوعية بدأ صدورها في الأسبوع الثاني من العدوان.

- *نشرة «صوت الكويت» الأسبوعية :*

صدرت في العشرين من شهر سبتمبر وتم توزيعها على مناطق الكويت المختلفة، وكانت تحتوي على مقالات تحث على الصمود، وتغطي أخبار المقاومة، وقد قام بإصدارها عدد من الشباب ذوي الاهتمامات الفنية.

- *نشرة «صوت الحق» :*

أصدرها الشهيد محمود خليفة الجاسم، وصدر منها إثنا عشر عدداً كان آخرها بتاريخ ٢٢ أغسطس وكانت توقع باسم جنود الرحمن وقبض على الشهيد وتم تعذيبه وقتله، واستمر زملاؤه بالإصدار من بعده، قد جاء فيها بعض التوجيهات التي تحث على أعمال التكافل وعدم الاتكال على الغير، وتحث الشباب على خدمة أهاليهم وخاصة الوالدين الكبار في السن فهذا من الجهاد ومن أفضل الأعمال بعد التوحيد والعبادة. (حسبما ورد في النشرة)، وقد كانت هناك نشرة أخرى تحمل نفس الإسم (صوت الحق). ولكنها صدرت عن مجموعة من المدرسات الكويتيات وقد كان توزيعها محدوداً.

- *نشرة «القبس» :*

وقد صدرت هذه النشرة من دار القبس في نفس اليوم الذي صدرت فيه جريدة النداء وكان لسان حال القائمين على هذه النشرة يقول : إن القبس لم ينطفي رغم الإستيلاء على المكان الذي تصدر منه، وكانت هذه النشرة بمثابة جهد إعلامي ودعائي يهدف إلى تدعيم عملية التواصل بين أفراد المجتمع، ويطمئنهم على أن الوطن سيعود، ويبث فيهم التفاؤل والثقة في الله والوطن والشرعية.

- *نشرة الكويت :*

وكانت تصدرها حركة نساء وأطفال الكويت، وهي ورقة من صفحتين مكتوبة بخط اليد ومصورة بماكينة تصوير المستندات وقد تضمنت هذه الورقة الإعلامية أو الصحيفة أبواباً شبه ثابتة، (كلمتنا) ثم استبدلت (بالإفتتاحية) وهي تتناول التعليق

على أهم الأنباء الداخلية أو العالمية حول الاحتلال والرأي العام العالمي والشرعية الدولية، وفي صدر الصفحة الأولى بضع آيات من القرآن الكريم ودعاء، وبعد ذلك أهم الأخبار الداخلية والنداءات والتحذيرات والتوجيهات التي تصدرها قيادات المقاومة العسكرية والسياسية، وقد أصدرت الصحيفة عدداً خاصاً عن استشهاد المغفور له الشيخ فهد الأحمد الجابر الصباح وهو يقاوم جنود الاحتلال .

بالإضافة إلى هذه النشرات، كانت هناك نشرات أخرى تصدر عن جماعات متعددة وكلها تصب في بوتقة التواصل الفعال في المجتمع، مثل نشرة أحرار الكويت، نشرة الصباح، نشرة موسى، نشرة حوقة، نشرة التصدي، وغيرها، كما ظهرت بعض شرائط الكاسيت التي تحتوي على المواعظ والتوجيهات الإيمانية والأناشيد الإسلامية التي تهدف إلى إشاعة الطمأنينة والثبات في نفوس المواطنين، بجانب ذلك استثمر المواطنون الفاكس في التواصل بينهم، وكان من الشائع أن تجد شخصاً في إحدى المناطق يجمع ما يسمعه ويرسله إلى الآخرين الذين يتولون إلصاقه في المساجد، فيتجمع الناس حوله ويزداد التواصل بينهم .

(جـ) الإتصالات الدولية :

لقد كان لدى المقاومة في الداخل أجهزة هاتف وفاكس عبر الأقمار الصناعية، ومن خلال هذه التقنيات استمر التواصل بين الشعب في الداخل والشرعية والقيادات والمسؤولين في الخارج، كما نشطت المكاتب الإعلامية الخارجية في الاتصال بالشعب والقيادة على السواء .

وكانت بعض الصحف تصدرها جماعات خارج الكويت، سواء كانت تلك الجماعات مكونة من مواطنين كويتيين في الخارج، أو من الجماعات من مواطني الدول الأخرى الذين تبنوا - طواعية - قضية دولة الكويت، كما تمكن الشباب الكويتي من بناء محطات إرسال إذاعية مؤقتة في بعض المناطق الصحراوية بصحراء الكويت وكان الهدف منها الإبقاء على تواصل القيادات السياسية بالقاعدة الشعبية للمجتمع الكويتي، حتى يتوفر للتكامل السيكولوجي الاجتماعي أهم عناصره، بالإضافة إلى محطات الإرسال التي بناها العاملون بالإذاعة الكويتية المرابطون داخل الكويت فإن المهاجرين من أبناء الكويت بالتعاون مع المجتمعات العربية الصديقة أمكنهم إبقاء البث الإذاعي لصوت الكويت تدعيما للتواصل

بين القيادات السياسية خارج الكويت والمرابطون داخل الكويت للإبقاء على التماسك الاجتماعي للمجتمع الكويتي وخوفا من التفكك من بعض دعاة التفرقة بين من بالداخل ومن بالخارج.

(٤) إستيعاب التغاير الاجتماعي :

إذا كان التعامل الاجتماعي ينطوي على معنى التغاير في إطار إمكانات الوجود الواقعي، فإن توجيه هذه الإمكانات وجهة معينة هو الذي يتيح التكامل من عدمه، فإذا لم توجد الكفاءة الاجتماعية القادرة على التأليف التكاملي من العناصر المتباينة لا يكون هناك تكامل، وهنا يصبح التغاير - أو بمعنى أدق عدم القدرة الاجتماعية على توجيهه الوجهة التكاملية - معوقاً للتكامل. وعلى الرغم من وحدة الهدف والغاية لدى جميع فئات الشعب الكويتي، إلا أن الأمر لم يخلو من وجود التغاير الذي انعكس على الرأي والسلوك الاجتماعي حول بعض القضايا والتي أهمها قضية الهوية وما يتعلق بها، فلقد كان الحفاظ على الهوية والتمسك بها يمثل الهاجس الأول لكل الكويتيين، وقد بدأت السلطات العراقية بتغيير معالم الوطن، واستحداث مسميات لمناطق الكويت غريبة عن الحس الوطني سواء أسماء الشوارع أو المناطق السكنية فقد استبدلت «ضاحية عبد الله السالم» باسم حي «البصرة» والشوارع بغير أسمائها المعروفة، وامتدت يد التغيير إلى إرغام الناس على استبدال هوياتهم وشهادات جنسياتهم وبطاقاتهم إلى هويات وبطاقات عراقية، الأمر الذي دفع الناس إلى الخروج لعدة أسباب كان من بين عواملها الرئيسية المحافظة على الذات والهوية الكويتية فآثر بعض المواطنين الخروج من الكويت خشية ما يترتب على المرابطة من آثار ووجد البعض نفسه مرغما على الخروج كلما طالت أيام العدوان لما يرى من مظاهر البطش والتعذيب، والسجن والإذلال، فوجد أفضل وسيلة للبقاء الخروج بينما أصر آخرون على البقاء من أجل البقاء ودفع الثمن الباهظ للمرابطة من ذاتهم وجهدهم وكل ما يملكون من أجل الكويت، وهكذا برزت مظاهر التغاير بين فئات المجتمع الكويتي نحو قضية واحدة وهي قضية الاحتلال، فوحدة الهدف الاجتماعي أساسها الإبقاء على النفس وعلى الهوية الكويتية والمجتمع الكويتي، وإن اختلف السلوك بين الخروج والمرابطة.

وقد أجرى الباحث في دراسته مقابلات مع عدد من الأسر الكويتية المرابطة أو الصامدة

داخل الكويت، والخارجة من الكويت حول أسباب الصمود أو الخروج وكان استجابات جميع أفراد العينة تدور حول قضية الهوية الكويتية كسبب للخروج أو للبقاء في الكويت، وارتبط التغاير بشأن هذه القضية (الهوية) تغاير فيما يتصل بها أو يترتب عليها من قضايا أساسية أخرى ذات طبيعة حياتية، ففي يوم ١٣/ ٨/ ١٩٩٠ أي في أواخر الأسبوع الثاني للاحتلال أبلغت العراق البنوك الكويتية بأن البنك المركزي الكويتي أصبح فرعا لبنك الرافدين العراقي وعلى البنوك الكويتية أن تتعامل بالدينار العراقي وبالتالي فإن التعامل في الأسواق وبين المواطنين يجب أن يتم بالدينار العراقي تنفيذاً لتعليمات قوات الاحتلال وحدد السادس من سبتمبر ١٩٩٠ للبدء في تعامل المواطنين بالدينار العراقي وإزاء هذه التعليمات، انقسمت شرائح المجتمع الكويتي بين مستجيب لها، باستخدام الدينار العراقي في تعاملاته التجارية، وبين رافض مصر على التعامل بالدينار الكويتي، إن اختلاف السلوك الاجتماعي ليس معناه انقسام أو مساس بالتكامل الاجتماعي بل هو تغاير في السلوك الاجتماعي لتحقيق هدف واحد هو الإبقاء على ضروريات الحياة متدفقة بقدر كاف في الأسواق حفاظا عل بقاء المجتمع الكويتي، المثال الآخر الذي يوضح جانب التغاير والمرتبط بمسألة الهوية، هو قرار سلطات العدوان بضم دولة الكويت إلى العراق واعتبارها المحافظة رقم ١٩ في ٣٠ أغسطس ١٩٩٠، ومن القرارات المكملة لهذا القرار، قرار خاص بإلغاء اللوحات الكويتية للسيارات واستبدالها بلوحات عراقية كتب عليها (العراق - كويت) وأضاف القرار أن من لا يلتزم بتنفيذ هذا القرار فإنه يحرم من التزود بالوقود.

لقد ظهر التغاير والتمايز في السلوك الاجتماعي إزاء هذه القرارات، من قبل بعض الفئات الاجتماعية الكويتية، حيث رأت بعض الشرائح أن استمرار المرابطة يتطلب البقاء على بعض الحاجات الأساسية ويتطلب ذلك تغيير اللوحات حيث إن هذا التغير يتيح استمرار الحركة للسيارات لآداء واجبات أهم وفي نفس الوقت فإنه لا يخدش الانتماء أو الولاء للوطن، ورأت شرائح اجتماعية أخرى أن عملية استبدال اللوحات هي قضية وجود بالنسبة للكيان الاجتماعي الكويتي، وهذا يعني التوجه الاجتماعي العام من جانب الشعب نحو الهدف الأساسي (الذي أشير إليه سابقا) حتى وإن اختلفت الآراء والمواقف والأساليب، وغني عن البيان أن هذا الاختلاف - من منظور ديناميات الجماعة - لا يعبر عن النزاع أو الصراع، وإنما هو في إطار عمليات من التكامل النفسي والاجتماعي

والامتثال للمعايير المتعلقة بالهدف العام للمجتمع والدولة .

والخلاصة أنه على ضوء الإطار النظري لمفهوم التكامل، وعلى ضوء نشاطات التكامل وممارسته في المجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي - نتبين أنه يشمل متضمنات نظرية تجسدت في النشاطات العملية في تلك الفترة. إنه يتضمن مثلاً التعاون بين الأفراد والجماعات لأداء مهام مشتركة وتبادل المصالح والمنافع والدعم النفسي، والتضحية من أجل الآخرين، والامتثال للمعايير كما أن التكامل يتضمن نبذ الخلافات وتأكيد الإنتماء والاهتمامات العامة ضمن علاقة تواصلية تعكس الثقة المتبادلة والإحساس بالقيمة الذاتية والإنسانية لدى الأفراد تحت مظلة الانتماء الواحد، إنه يتضمن المجاملة والتعبير عن المودة والألفة، والتعاون المشترك في أداء مهام تتطلبها الجماعة وابتكار طرق جديدة في التعامل مع المواقف الصعبة وتعدد مواقف التآزر لتتولد في موجات متتابعة صوب تحقيق الهدف المنشود والغاية المبتغاة تحت سلطة تنظيمية بما يعنيه ذلك من ائتمار وخضوع - هذه المعاني توضحها الخلفية المرجعية كما سبقت الإشارة. كما أن آليات التكامل في المجتمع الكويتي - والتي سبقت الإشارة إليها أيضاً - عبرت عن المعاني المذكورة ضمن برامج مجموعات العمل، بجانب ما ظهر من نشاط تكاملي عضوي وتلقائي بين الأفراد والجماعات في المجتمع .

ثانياً : منهج الدراسة وإجراءاتها

(١) الهدف والتساؤلات :

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة خبرة وآراء المبحوثين بشأن خصائص بعض جوانب التكامل النفسي والاجتماعي في المجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي، وقد تم تحديد أنماط التكامل النفسي والاجتماعي التي ستخضع للدراسة اعتماداً على مصدرين، يتمثل الأول في الأسس النظرية لهذا المفهوم (التكامل النفسي والاجتماعي) بينما يتمثل المصدر الثاني في عمليات التكامل النفسي والاجتماعي في المجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي، من خلال المزاوجة بين الأسس النظرية لمفهوم التكامل والممارسة العملية للتكامل ثم تحديد أنماط التكامل النفسي والاجتماعي المطلوب دراستها وصولاً إلى الهدف المشار إليه، وذلك بالإجابة على التساؤلات التالية :

- ماهي مؤشرات التكامل النفسي والاجتماعي من منظور الإنتماء إلى الوطن ؟
- ماهي مؤشرات التكامل النفسي والاجتماعي من منظور خصائص دور المنظم الاجتماعي؟
- ماهي مؤشرات التكامل النفسي والاجتماعي من منظور خصائص العلاقات بين المواطنين؟
- ماهي مؤشرات التكامل النفسي والاجتماعي من منظور خصائص التواصل في المجتمع؟

(٢) عينة البحث :

أجريت الدراسة الحقلية على عينة قوامها (٢٠٠) مفردة ممن تبلغ أعمارهم عشرين عاماً فأكثر ونظرا لضرورة تمثيل العينة للمجتمع (المواطنين الكويتيين)، ليس فقط لاعتبارات منهجية وعلمية وإنما أيضاً لطبيعة الموضوع مجال الدراسة - فقد تم الاعتماد على العينة متعددة المراحل والعينة العشوائية البسيطة، حيث تم الاختيار العشوائي لمنطقتين من كل محافظة (تم اختيار المناطق بأسلوب السحب مع عدم الاعادة) فأصبح هناك عشر مناطق من المحافظات الخمس، ومن بين كل منطقة تم الاختيار العشوائي لثلاث قطع، ومن بين كل قطعة تم الاختيار العشوائي لثلاثة أو أربعة شوارع، ومن كل شارع تم اختيار (جادة) بحيث يتم إجراء المقابلات مع المفردات الموجودة بالمنازل/ البنايات التابعة للجادات التي وقع عليها الاختيار مع الالتزام بشرطين : **الأول** : عدم إجراء المقابلة مع أكثر من مفردة من البناية الواحدة أو المنزل الواحد. **الثاني** : أن تتوافر في المفردة التي تم اختيار المواصفات التي تم تحديدها بحيث تكون العينة متشابهة في خصائصها مع خصائص المجتمع من حيث : الجنس، محافظة الاقامة، الحالة الزواجية، المستوى التعليمي، السن، وقد تطلب ذلك بطبيعة الحال التعرف على خصائص مجتمع البحث (المواطنين) وتوزيع مفرداته وفق هذه المتغيرات على ضوء أحدث الاحصائيات الرسمية المتاحة (إحصاء مارس ١٩٨٨) حيث تبين أنه أحدث إحصائي رسمي شامل وقت إجراء الدراسة خلال النصف الأول من عام ١٩٩٢، ولما كانت الدراسة قد أجريت على ذوي الأعمار ٢٠ عاما فأكثر فقد تم استبعاد من هم دون هذه السن، وتم توزيع مفردات العينة توزيعا متناسبا (Proportional Allocation) مع خصائص المجتمع من حيث المتغيرات المذكورة . [١] ، وقد جاءت العينة في خصائصها على النحو التالي : -

جـــدول (١)

توزيع عينة الدراسة حسب النوع والحالة الزواجية

النـــوع / الحالة الزواجية	ذكـــــور	إنـــــاث	المجمـــوع
لـــم يتـــزوج	٤٣	٣٦	٧٩
مـــتـــزوج	٥٣	٥٦	١٠٩
مـــطـــلـــق	١	٣	٤
أرمـــــل	٣	٥	٨
المجمـــــوع	١٠٠	١٠٠	٢٠٠

جـــدول (٢)

توزيع عينة الدراسة حسب السن والمستوى التعليمي

المستوى التعليمي / فئـــات الســـن	أمـــي	يقـرأ ويكـتب	الابتدائية	المتوسطة	الثانوية وما يعادلها	فوق الثانوية ودون الجامعية	الجامعية وما فوقها	المجموع
٢٠ - ٣٤	٦	٣	٧	٣٤	٣١	١٣	١٤	١٠٨
٣٥ - ٤٩	١٧	٧	٦	٩	٤	٥	٦	٥٤
٥٠ - &	٢٤	٨	٢	٣	١	--	--	٣٨
المجمـــوع	٤٧	١٨	١٥	٤٦	٣٦	١٨	٢٠	٢٠٠

جـــدول (٣)
توزيع عينة الدراسة حسب محافظة الإقامة والجنس

النـــوع / الحـالة الزواجيـة	ذكـــــور	إنـــــاث	المجمـــوع
العـــاصـــمـــــة	٢٢	٢٢	٤٤
حـــــولـــي	٢٤	٢٣	٤٧
الأحمـــــــدي	٢٣	٢٢	٤٥
الجهـــــــراء	١١	١٢	٢٣
الفروانيـــــــة	٢٠	٢١	٣١
المجمـــــــوع	١٠٠	١٠٠	٢٠٠

(٣) أدوات جمع البيانات :

تتطلب بعض البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية أن يعطي المبحوث مباشرة بيانات عن نفسه هو، ويشمل ذلك ما يعرفه أو يتذكره (معلومات) أو ما يفضله (ميول وقيم) أما ما يعتقده (اتجاهات) ولعله من المعروف أنـه لاكتشاف العالم الداخلي للمفحوص تستخدم أنواع مختلفـة من الأسئلـة، وحين توجـه هذه الأسئلـة كتابيـا تسمى الأداة في هـذه الحالة استفتاء أو استبياناً... أما إذا وجهت الأسئلة شفويا وبطريقة فردية، فإن أداة جمع البيانات تسمى مقابلة وعلى الرغم من التأكيد الواضح على أهمية كل من الاستبيان والمقابلة كأداتين لجمع البيـانات (فؤاد أبو حطـب وآمال صادق، ١٩٩١) ، إلا أن بعض البحـوث تتطلب الاعتماد على أكثر من أداة ، وأكثر من أسلوب. وقد عايش الباحث هذا الموقف في المراحل الأولى من تنفيذ الـدراسة الحقلية للبحث الحالي، حين تبين أن الاعتماد على الاستبـانة فقط واستخدام الأسئلـة المغلقة ستكون معـه الاستبانة مطـولة بدرجـة يتضايق معهـا المبحوث وتتأثر دقة إجاباته، كما أن الاعتماد على المقابلـة فقط لن يمكن من الحصول على المعلومات الكافية - هذا بـالإضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بتنفيذ الـدراسة الحقلية - تتطلب ضرورة الاعتماد على الاستبانة والمقابلة المتعمقة (Indepth Interview) ، تضمنت الاستبانة مجموعة

من الأسئلة المفتوحة (Open end Questions) ، كل سؤال في صفحة مستقلة حتى تترك للمبحوث فرصة التعبير بحرية عن حقيقة رأيه، وقد غطت أسئلة الاستبانة أربعة أبعاد أساسية هي :

- الانتماء إلى الوطن .
- خصائص دور المنظم الاجتماعي .
- خصائص العلاقات بين الأفراد والجماعات في المجتمع .
- التواصل في المجتمع .

في إطار هذه الأبعاد الأربعة تم تحديد مجموعة من الموضوعات ذات الدلالة المباشرة لمفهوم التكامل النفسي والإجتماعي وتم تطبيق الأستبانة في صورتها الأولية على عشرين مبحوثا بهدف التأكد من وضوح الأسئلة وأهمية القضايا والموضوعات التي تتناولها، وتم إجراء بعض التغييرات سواء بالحذف أو الإضافة أو التعديل وذلك بناءً على الإختيار المسبق للإستبانة . كما خضعت الإستبانة لإجراءات تقنين باستخدام طريقة صدق المضمون (Content Validity) وطريقة الصدق الظاهري (Face Validity) حيث تم فحص الإستبانة ومراجعتها عبر عدّة مراحل بهدف التأكد من أن الموضوع المراد بحثه محدد بشكل دقيق وبصورة مناسبة، وأن أسئلة الإستبانة ترتبط بالموضوع محل الدراسة وتتفق مع هدف البحث، كما عرضت الإستبانة على مجموعة من المتخصصين في علوم النفس والإجتماع، بعضهم من العرب وبعضهم من الأجانب، وخضعت لمناقشة مستفيضة قبل إعتمادها في الصورة النهائية .

أما عن أسلوب تنفيذ الدراسة الحقلية، فقد قام الباحث بإجراء المقابلات بالأسلوب الفردي (كل مفردة على حدة) وأثناء المقابلة كان الباحث يوجه النقاش مع المفحوص في اتجاهين : **الأول** : الإجابة الوافية على أسئلة الاستبانة. **الثاني** : التأكد - من خلال النقاش - من دقة البيانات التي يدلي بها المبحوث. وفي بعض المقابلات تمت الاستعانة بجهاز تسجيل، وفي حالات المفردات من الأميين كان الباحث يدون كلام المفحوصين. وفي جميع المقابلات، كان يتم تدوين أشكال التعبير غير اللفظي من جانب المفحوصين في التعامل مع الأسئلة والأفكار المطروحة - وذلك في بطاقة مستقلة تضم إلى إستبانة المبحوث بعد الانتهاء من المقابلة. وقد حرص الباحث على أن يتم تنفيذ المقابلات بصورة تفاعلية وتلقائية بحيث يتسنى استخلاص كل ما يمكن استخلاصه من معلومات،

والتأكد من دقة البيانات والآراء والمعلومات التي يدلي بها المبحوثون من خلال الحوار والتحاور والنقاش.

(٤) المعالجة الاحصائية :

على ضوء استجابات المبحوثين وبالنظر إلى خصائصهم العامة تبين وجود تقارب واضح في الاستجابات بصرف النظر عن اختلافهم في تلك الخصائص، وعند التحقق الإحصائي الهادف إلى التأكد من هذه المسألة - تم تحليل بيانات (٥٠) مفردة تبين أن العلاقات ومعاملات الارتباط ومعنوية الفروق بين متغيرات السن والحالة الزواجية ومنطقة الاقامةوالمستوى التعليمي من جهة، والمتغيرات الخاصة بالتكامل النفسي والاجتماعي من جهة ثانية - لم تكن ذات دلالة إحصائية تبرر التعمق في التحليل الإحصائي وذلك في معظم الحالات، وعليه تم الاعتماد على الإحصاء الوصفي في المعالجة الإحصائية لجميع المفردات. وهنا قد يُثار تساؤل يتعين حسمه : إذا لم يتم توظيف خصائص العينة في التحليل الإحصائي المتعمق للنتائج، فلماذا كان اختيارها وفق هذه الخصائص إذن ؟ الإجابة ببساطة هي أن اختيار العينة موزعة بنسب معينة على تلك الخصائص يجعلها تقترب من تمثيل المجتمع وفق نفس الخصائص. ومن الضروري تمثيل العينة للمجتمع حتى يمكن الوثوق فيما تم التوصل إليه من نتائج - وهذه القيمة من وجهة نظرنا تفوق قيمة التوظيف الاحصائي لخصائص العينة .

ثالثاً : نتائج الدراسة :

فيما يلي عرض ومناقشة للنتائج التي توصلت إليها الدراسة بشأن بعض مظاهر التكامل النفسي والاجتماعي في المجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي وذلك من خلال أربعة عناصر :

(أ) مؤشرات التكامل النفسي والإجتماعي من منظور الإنتماء إلى الوطن.

(ب) مؤشرات التكامل النفسي والإجتاعي من منظور خصائص دور النظم الاجتماعي.

(جـ) مؤشرات التكامل النفسي والإجتماعي من منظور خصائص العلاقات الإجتماعية بين المواطنين.

(د) مؤشرات التكامل النفسي والإجتماعي من منظور التواصل داخل المجتمع .

(أ) مؤشرات التكامل النفسي الاجتماعي من منظور الإنتماء إلى الوطن :

إن الإحساس بالإنتماء الواحد لدى الأفراد والجماعات يمثل المحرك الأساسي لبواعث التكامل النفسي والاجتماعي فيما بينهم خاصة أثناء المحن والأزمات، فإذا كان الإحساس بالخطر المشترك كثيراً ما يدفع الناس إلى تكامل الجهود الرامية إلى درء هذا الخطر، فإن قوة الدفع تكون أقوى إذا كان لدى هؤلاء الناس إحساس بالإنتماء الواحد، ومن المؤكد أن مقومات التكامل النفسي والاجتماعي تصبح أكثر حرية وديناميكية عندما يوجد خطر يهدد الانتماء إلى الوطن، لسبب بسيط هو أن ضياع الوطن يعني ضياع كل شيء (بغرض أن هذا الانتماء قائما) ، وفي ظروف الأزمات تتعدد مظاهر التعبير عن الانتماء إلى الوطن ربما بدرجة تفوق الحصر، لكن أشد هذه المظاهر دلالة ما يتعلق بالإدراك الحقيقي لجوهر هذا الانتماء (جانب معرفي)، إنه يتحكم في السلوك المعبر عن الإنتماء بدرجات متفاوتة، وفوق ذلك فإنه يتداخل مع الجانب الوجداني (والذي هو في حالة الانتماء يعبر عنه بالحب). في هذا الإطار حددت الدراسة عدة مؤشرات للتكامل النفسي الاجتماعي من منظور الانتماء إلى الوطن لمعرفة آراء المبحوثين بشأن مدى وجودها كحقيقة واقعة أثناء العدوان العراقي، وتتمثل هذه المؤشرات في :-

- إدراك المعنى المجرد للإنتماء إلى الوطن.
- الإمتثال لمعايير اجتماعية تتعلق بالدفاع عن الوطن .
- نبذ الاختلافات المذهبية والعرقية في سياق الدفاع عن الوطن.
- الإحساس بالقيمة الذاتية والإنسانية جراء الإنتماء إلى الوطن.

لقد تم (استخلاص) استجابات المبحوثين بشأن هذه العناصر من خلال مقابلات متعمقة وتوجيه الحوار نحو السلوك الحقيقي من واقع أدلة وبراهين (وليس السلوك المثالي) الذي يمثل الوضع المرغوب من قبل المبحوث، والجدول الآتي يجمل النتيجة التي تم التوصل إليها بشأن المؤشرات الأربعة المذكورة :-

جـــدول (٤)
مؤشرات التكامل النفسي الاجتماعي من منظور الإنتماء إلى الوطن

المـؤشـــرات	نـمـــط الإســتجابـة		
	نـعـــم	لا	غير محـدد
إدراك المعـنى المجـرد للإنتـمـاء إلـــى الوطـن	١٧٦	٢٤	٠٠
الامتثال لمعايير إجتماعية في الدفـاع عن الوطن	١٨٦	٠٠	١٤
نبـــذ الإخـــتلافـــات المذهبيـــة والعرقيـــة	١٥٦	٠٠	٤٤
الإحساس بالقيمـة الذاتية والإنسانية كمواطن	١٧٩	٢١	٠٠

نتبين مـن هذا الجدول أن الغـالبية العظمـى من المبحـوثين - وبما يتراوح بين (٧٨٪) و (٩٣٪) دلـت إستجـابـاتهم على عمـق الإرتبـاط بـالهويـة الـوطنيـة على المستـوى النفسي والإجتماعي في حدود العناصر المبينة بالجدول، كما نلاحظ أن (٧٪) و (٢٢٪) لم تفد برأي قاطع فيما يتعلق بكل من الامتثال للمعايير الاجتماعية ونبذ الاختلافات المذهبية والعرقية، في الوقـت نفسه نتبين من الجدول أن ١٢٪ مـن المبحوثين لم تدل استجـاباتهم على الإدراك السليم لمعنـى «الانتماء» ، وأن (٥ , ١٠٪) أفادوا بأنهم افتقدوا الإحسـاس بالقيمة الـذاتية والإنسانية أثناء الاحتلال .

ويـوضح الجدول أن (٨٨٪) مـن المبحوثين دلـت استجـاباتهم على الإدراك الصحيـح لمعنى الإنتماء إلى الـوطن، حيـث وردت في تقاريـرهم مفـاهيم صريحة تـدور حول معنـى (حب الوطـن)، والواقع أن هذا المعنـى يتسع ليشمل كافـة مظاهر السلوك التـي تعبر عن الإنتماء، إنه بمثابة قيمة كبرى تمثل عنصراً أساسيـاً لتنظيم البناء الاجتماعي والعلاقات بين الأنساق الاجتماعيـة، فتصبح بذلك أسـاس إنجازات السلوك الانتمائي ودفـع الأفراد إلى التماسـك والوحـدة أمام الخطـر . وإذا كان الـوزن النسبي للقيمـة يحدد فاعليتهـا الذاتيـة وتأثيرها البنائي - فـإن قيمة (حب الوطن) لا تعادلها قيمة أخرى خـاصة في ظروف وقوع الوطـن تحت التهديـد المباشر ومحاولات محوه على غـرار ما حـدث للوطـن الكويتـي أثناء العـدوان العراقـي. كما نـلاحـظ من الجدول السـابـق أن ١٢٪ مـن المبحوثين لم تتضمـن تقاريرهم معنى محدداً للإنتماء.

ولكن ماهي مظاهر التعبير الرمزي عن الإنتماء ؟ من واقع فحص تقارير المبحوثين تبين أن هذه المظاهر تتمثل في التماسك بكل ما يرمز إلى الهوية الوطنية ، ورفض كل ما يرمز إلى محاولات تغيير هذه الهوية ومحوها من قبل قوات العدوان العراقي . ففيما يتعلق بالتمسك برموز الانتماء حسبما ورد في تقارير المبحوثين تبين أنه يشمل (٦٨) نمطا سلوكيا تدور أكثريتها حول العناصر التالية :-

- الحصول على العلم الكويتي والاحتفاظ به .
- وضع صورة القيادة السياسية في أماكن ظاهرة بالمسكن والأماكن العامة ، أو الاحتفاظ بها في مكان سري حتى لا تراها عصابات الإحتلال .
- الاحتفاظ بالمستندات والوثائق التي تتضمن الانتماء إلى الكويت وعدم استبدالها بالمستندات والوثائق العراقية .
- كتابة عبارات تتضمن حب الوطن على الجدران والحوائط الخارجية للمساكن والمؤسسات .

أما بخصوص مظاهر الرفض لما يتناقض مع الانتماء إلى الوطن ، فقد تضمنت تقارير المبحوثين (٤٧) مظاهراً ، دارت أكثريتها حول العناصر الآتية :-

- حرق العلم العراقي وحرق صور رموز العدوان ، خاصة صورة صدام .
- إحتقار ومقاطعة كل ما هو عراقي .
- تغيير الأسماء والمعاني التي أضفاها العراقيون على بعض الأماكن - تغييرها إلى كويتية .

وعلى ضوء ما خطه المبحوثون في تقاريرهم عن مسألة الانتماء إلى الوطن ، أمكن تبين أن هذه المسألة هي القيمة الجوهرية التي تتفرع عنها مظاهر الاشتراك في قيم متماثلة وكذلك في الاحساس المشترك بالمسؤولية لتحقيق الالتزامات الاجتماعية والشعور بالتماسك [٢] .

أما بخصوص الامتثال لمعايير اجتماعية تتعلق بمقاومة العدوان ، فيجب أولاً أن نوضح أن المعايير بوجه عام تعتبر مصدراً للضغط على الأفراد لكي تتشابه أهدافهم المختلفة مع أهداف الجماعة ، وهي تعبر عن نفسها في صورة سلوك ، وتتمثل المعايير في القواعد والتقنيات الاجتماعية والعادات المعترف بها والقيم والاتجاهات السائدة التي تعتبر مرشداً للفرد داخل الجماعة تحدد سلوكه المقبول فيها . وبهذا المعنى ، فإن المعايير الاجتماعية تشمل

عدداً هائلاً من نتائج تفاعل الجماعة في الماضي والحاضر مثل الاخلاق المستهدفة، والقيم الاجتماعية، واللوائح المنظمة والعادات والتقاليد والأحكام القانونية والعرف والمودات ... الخ، وبوجه عام، فإن المعايير هي التي تحدد ما هو صواب وما هو خطأ، وما هو جائز وما هو غير جائز، وما يجب أن يكون وما يجب ألا يكون حتى يكون الفرد مقبولا من الجماعة ملتزما بسلوكها ومسايرا لقواعدها ومتجنبا لرفضها (محمد شفيق، ١٩٨٧)، والمجتمع الكويتي - كمجتمع عربي إسلامي - له معاييره الاجتماعية المعروفة، والتي تحكم سلوك الأفراد والجماعات فيه، وهي معايير ربما تفوق الحصر، لكن هذه الجزئية من الدراسة تختص ببعض السلوكيات الجماعية المعبرة عن معايير تم الاتفاق عليها بين الأفراد والجماعات، إنها سلوكيات موقفية نابعة من سمات ثابتة وتتعلق مباشرة برفض العدوان العراقي، أي ما إذا كان المبحوثون قد خبروا مواقف محددة بما يجسد الالتئام بذلك من قبل المواطنين، والخبرة التي نعنيها هنا هي الخبرة المباشرة، بمعنى أن يكون المبحوث قد عايش أو رأى الآخرين يلتزمون بمعايير سلوكية في هذا الإطار.

ويوضح الجدول السابق أن هذا المعنى ورد في تقارير (١٨٦) مبحوثاً، أي ما يعادل (٩٣٪) من عينة البحث، ويأتي العصيان المدني في مقدمة المعايير الاجتماعية يليه الإلتزام ببعض الأعمال الجماعية الموقفية مثل الصعود فوق أسطح المنازل في وقت واحد والهتاف باسم الله والوطن والأمير، ثم الإلتزام بإطفاء الأنوار في وقت واحد إرهاباً للقوات العراقية، وأخيراً الإلتزام بعدم الخروج من المنازل في توقيت محدد. هذه الأنماط السلوكية الجماعية قد مارسها المبحوثون أو خبروها من قبل الآخرين، وهي في مجملها تعبر عن الروح الاجتماعية والإحساس الجماعي بالإنتماء إلى الوطن الواحد، كما أنها بطبيعة الحال تختلف تكرارا في الممارسة من فرد إلى آخر، فعلى الرغم من أن الإلتزام الجماعي بسلوكيات معينة يرتبط بوعي المصالح المتوافقة ووضوح الأهداف بما يوجه النشاطات في اتجاه موحد، إلا أن مساهمة كل فرد في بلوغ الأهداف المبتغاة يكون في حدود ما يستطيعه وما أوكل إليه من مهام وما يمتلكه من نشاط ومعرفة (هورغ وآخرون، ١٩٩١)، وهذا يفسر جانباً هاماً من أسباب الاختلاف في حجم وطبيعة النشاط الهادف إلى مقاومة العدوان العراقي، فعلى الرغم من الرفض العام لهذا العدوان من قبل المواطنين، إلا أن طبيعة وحجم وفاعلية السلوك المعبر عن هذا الرفض يختلف بالضرورة من مواطن إلى آخر.

المؤشر الثالث، والمتضمن في الجدول السابق هو نبذ الاختلافات الدينية والعرقية والمذهبية بمعنى : هل رأى المبحوثون جماعات عمل تؤدي أعمالاً ومهاماً مشتركة وبصورة منتظمة من قبل مواطنين يعرف المبحوثون جيداً أنهم ينتمون إلى أصول عرقية ومذاهب دينية أو فكرية مختلفة ؟ غنى عن البيان أن الأعمال والمهام المشتركة هي تلك المتعلقة بتخفيف صعوبات الحياة أو مقاومة العدوان العراقي ورفضه . في هذه الجزئية الهامة تبين أن (٧٨٪) من المبحوثين تضمنت تقاريرهم أنهم قد لمسوا ذلك، وأفادوا بأمثلة محددة (مثال واحد على الأقل) ، وإذا كان هذا على مستوى الجوانب الاختلافية ككل، فإن المنطق نفسه قد تأكد على مستوى كل جانب على حدة، لقد أفاد ٦٨٪ من المبحوثين بأمثلة محددة (صحيحة) عن التعاون بين السني والشيعي في أداء أعمال مشتركة، وبلغت النسبة في حالة التعاون بين البدو والحضر إلى (٧٩٪)، وبين الإسلامي والعلماني إلى (٢٣٪) مع ملاحظة أن هذه النسب تضمنت مثالاً واحداً على الأقل، وأفادت بعض الحالات بما يزيد عن عشرة أمثلة من التي يعرفونها أو يسمعون عنها في مجال العمل الإجتماعي أو المقاومة العسكرية ضد العدوان العراقي، فإذا نظرنا إلى ما وراء هذه المؤشرات الكمية في ضوء ظروف العدوان ومتطلبات مواجهته نجد أنها تعبر عن تكامل إجتماعي يرتبط بالتأثير والتأثر في نوع من التكامل والتساند الوظيفي، حيث إن الأساس الفيزيقي لبنية المجتمع يقوم على ثلاث ركائز أساسية هي الظروف الايكلوجية، والتكوين الديموجرافي، وبنية المجتمع، وتتبادل هذه الركائز مع الانساق المجتمعية والاقتصادية والقرابية والسياسية والدينية مسألة التأثير والتأثر المذكورة، لقد تساندت هذه الركائز والأنساق بما أسفر عن تكامل اجتماعي في المجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي، وتطلبت القيم الناتجة عن هذا التساند - عبر الفترات والسنين - تكامل نسق الشخصية مع نسق القيم لتكوين ملاقاة بين العناصر الوظيفية للموقف وأنماط توجيه القيم السائدة في البناء الاجتماعي، ولما كان هناك قاعدة قيمية مشتركة بين أفراد المجتمع كان من السهل توحد الاشخاص مع متطلبات تلك القيم ، وبدون ذلك ما كنا نجد هذه الوحدة الاجتماعية والتساندية في مواجهة ورفض العدوان العراقي .

أخيراً نأتي إلى المؤشر الرابع وهو إحساس المواطن بقيمته الذاتية والإنسانية : هل كان المواطن الكويتي تحت الاحتلال يشعر بأن المجتمع والدولة حريصان عليه «كأنسان» و«مواطن» بصرف النظر عن انتمائه أو مذهبه أو فكره، أو مستواه الاجتماعي؟ إن أهمية

حسم الإجابة على هذا التساؤل تنبع من ارتباطها بالإستعداد النفسي لدى الفرد لأن يضحي بفرديته في سبيل (النحن). وعلى ضوء تحليل تقارير حالات الدراسة أفاد ٥ , ٨٩٪ من العينة أي ما يعادل (١٧٩) حالة أن الجهود التي بذلت سواء من الدولة أو من المجتمع جعلتهم مقتنعين تماماً بأن هناك من يحرص على قيمتهم الإنسانية والذاتية كمواطنين بصرف النظر عن أي اعتبار آخر، أما النسبة الباقية وقدرها (٥ , ١٠٪) أي ما يعادل (٢١) مفردة فقد أفادت بعكس ذلك، وقد لاحظ الباحث أن تقارير تلك الحالات تعبر عن أنهم خبروا مواقف جعلتهم يعانون من الضغوط النفسية الشديدة، وكان ذلك هو العامل المشترك بين هذه الحالات، من هذه المواقف - حسبما أفاد المبحوثون : الوقوع في الأسر، خبرة التعذيب والإعتقال ، الخسارة الشديدة في الممتلكات، فقدان أحد الأحبة والأعزاء لكن إذا كان ٩٠٪ تقريباً من المبحوثين مقتنعين بأن الجهود المبذولة من قبل المجتمع والدولة أثارت إحساسهم بقيمتهم الذاتية والانسانية، فإن ذلك يعني إنتفاء عامل أساسي يتعلق بسيكولوجية الانسان المقهور، هذا العامل هو (عقدة النقص) وانتفاء هذا الإحساس تنتفي معه (بالتأكيد) مشاعر الدونية في موقف الانسان من الوضع القائم، وطالما انتفت تلك المشاعر، ولو جزئياً - تقل حالة الاحساس بالعجز إزاء مصادر أو رموز القوة التي تهدده، ولا يكون هناك افتقاد للاحساس بالقوة والقدرة على المجابهة الذي يمد الحياة بنوع من العنفوان ويدفع إلى السعي نحو الاحترام والإصرار على المواجهة ، ولعل هذا يفسر - ضمن عوامل أخرى تتصل بما لمسه المواطنون من مظاهر ضعف وتخاذل في القوات العراقية رغم جبروتها وبطشها - الطابع الاقتحامي في السلوك الشعبي ضد هذه القوات. ولقد ناقش الباحث في دراسات أخرى له عن آثار العدوان العراقي، كيف أن الجماعات العسكرية والمدنية التي تشكلت لمقاومة هذا العدوان ورفضه كانت ذات بأس شديد سواء من واقع نشاطاتها الفعلية أو من واقع وثائق العدوان نفسه في مواجهة تلك الجماعات التي نبعت من شعب مجابه عنيد لا يقيم وزناً لطلب السلامة أو سوء العاقبة إذا تعلق الأمر بخطر يهدد وطنه وهويته.

ولابد أن نشير في نهاية هذه الجزئية، إلى أن إطمئنان المواطنين على قيمتهم الذاتية والإنسانية في ضوء ما لمسوه من جهود بذلت للتخفيف عنهم واسترداد وطنهم - يتواءم مع الرغبة الانسانية في التقدير الإيجابي للذات. وكذلك مع عمل هذه الرغبة بوصفها دافعاً

قوياً حيث تتشابك بكثير من الدوافع الاجتماعية مثل الدافع إلى الإنجاز والدافع إلى الإنتماء ويذهب البعض إلى القول بأن هذه الرغبة تساعدنا على أن نفهم السبب في أن بعض الناس يتحملون المشاق الجسيمة والجوع والألم بسبب ما عندهم من إعتزاز بالذات (موراي، ١٩٨٨). أليس ذلك ما خبره المواطن الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي؟ لقد تحمل هذا المواطن صنوف المشاق ولم يرضخ لمطالب العدوان، وأعلن العصيان المدني، ولم يكترث بالعقوبات والتهديدات بالاعدام والتعذيب والاعتقال ... الخ، ألا يجوز لنا القول بأن ذلك منشأة «الاعتزاز بالذات» وإذا كانت نسبة ٩٠٪ تقريباً من المبحوثين تؤكد إطمئنانهم على قيمتهم الذاتية والإنسانية لدى الدولة والمجتمع أثناء العدوان العراقي الآثم وإذا كان من المعروف في علم النفس أن مفهوم الذات ينشأ عن العلاقات الأولى في الأسرة منذ الطفولة - فإنه يمكن القول بأن التنشئة في الأسرة الكويتية خلال السنوات الأولى تتضمن جانباً إيجابياً ألا وهو تدعيم وتنمية المفهوم الإيجابي عن الذات لدى الطفل وتأكيد قيمة الإنتماء لديه. ومن الضروري أن تحرص الأسرة الكويتية على تدعيم مثل هذه الأمور الإيجابية.

(ب) مؤشرات التكامل النفسي الاجتماعي من منظور خصائص دور المنظم الاجتماعي

بحدوث العدوان العراقي تحوَّل المجتمع الكويتي من مجتمع رفاهية إلى مجتمع «أزمات» بكل ما يحمله هذا المفهوم من معان، فهناك أزمات في الإدارة، وهناك أزمات في الخدمة، وهناك أزمات في الغذاء ... الخ. في مثل هذه الظروف الصعبة تظهر القيادة متأثرة بطبيعة الجماعة وتركيبها وبالمواقف التي تمر بها، والأهداف والمطالب التي تسعى إلى تحقيقها، كما تتأثر بأفكار الجماعة وقيمها واتجاهاتها وأنشطتها ، ويذهب البعض إلى أن هناك شرطين ضرورين لظهور القائد : (أ) مواقف أو ظروف معينه تمر بها الجماعة (النظرية الموقفية) (ب) سمات أو صفات أو خصائص معينه تؤهله للدور القيادي (النظرية السماتية) والواقع أن هناك عوامل كثيرة ومتداخلة يتوقف عليها ظهور القائد بعضها يرجع إلى الجماعة وطبيعتها وظروفها وتركيبها، وبعضها يرجع إلى القائد وصفاته وخصائصه ودوافعه (ر. س. كرتشفيلد وآخرون ، ١٩٨٤).

ومن جهة ثانية فإنه مع حدوث العدوان العراقي، كانت هناك فرق عمل تعمل بنشاط متفاوت في المجال الإجتماعي كما سبقت الإشارة إلى ذلك في موضع سابق من الدراسة،

وعلى الرغم من صغر حجم بعض هذه الفرق، إلا أنها كانت ذات رئاسة وتوجيه من جانب شخص معين، سواء كان هذا الشخص من بين أعضاء الفرق نفسها، أو من بين قيادة أعلى توجد في نفس المنطقة أو في مناطق أخرى، هذا الشخص يقترب دوره مما يسمه الإجتماعيون المنظم الإجتماعي (Social Organizer) وفي بعض الأحيان كان يتطوع أحد الأهالي للقيام بدور المنظم دون أن تكون له إرتباطات عضوية في جماعة أو فرقة، ولما كان هذا الدور من أهم مستلزمات التكامل الإجتماعي، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، كان لابد من التطرق إلى هذه الفكرة ونحن بصدد مناقشة التكامل النفسي والاجتماعي في مجتمعنا أثناء فترة العدوان العراقي . وحسب نظرية (روس) والتي تناقش أدوار المنظم الاجتماعي (أحمد خاطر، ١٩٨٤)، وأيضاً على ضوء خصوصية ظروف تلك الفترة - والتي كان من شأنها تقييد واضطراب دور المنظم الإجتماعي - تم تحديد بعض جوانب هذا الدور بما يمكن الحكم الصحيح عليها من قبل المبحوثين منها بإعتبار أن ذلك ذو صلة وثيقة بمتطلبات التكامل النفسي والاجتماعي ومدى كفاءته، في هذا الإطار تم تحديد الجوانب التالية:

- الإحساس الجمعي والاهتمام بالمشاركة في حل الأزمات والمشكلات العامة.
- مساعدة أهالي المنطقة على إيجاد وسائل لتحقيق أهدافهم (إشباع حاجات، مواجهة مشكلات).
- التعامل مع أهالي المنطقة جميعاً على أساس من المساواة (دون محاباة غير مبررة منطقياً لأحد).
- الإهتمام بالمنطقة ككل، وليس بأجزاء منها دون غيرها.
- حث الأهالي على الصبر والجلد والاستفادة من الظروف للتخفيف من صعوبات الحياة.
- تشجيع الجهود التعاونية والمنظمة والتنسيق بينها.
- دعم العلاقات الإيجابية بين المواطنين.

إن هذه العناصر تمثل تكامل دور المنظم الاجتماعي، وتتوقف فاعلية هذا الدور على الإلتزام بها من قبل هذا المنظم حسب إدراك أعضاء الجماعة المستهدفة . والجدول الآتي يوضح آراء المبحوثين بشأن توافر هذه العناصر في دور قيادات العمل الاجتماعي العام أثناء العدوان العراقي.

جـــدول (٥)
مؤشـرات التكامـل النفسـي الإجتمـاعي
من منظـور خصـائص دور المنظـم الإجتماعي

المـؤشـــرات	نـمـــط الإســتجابـة		
	نـعـــم	لا	غير محـدد
الإحساس الجمعي والاهتمام بالمشاركة في حل المشكلات العامة	٧٦	١٨	١٠٦
مساعدة أهالي المنطقة على التوصل لوسائل تحقيق أهدافهم	١٠٦	٠٠	٩٤
التعامل مع مواطني المنطقة على أساس من المساواة	١٤٧	٠٠	٥٣
الاهتمام بكل أجزاء المنطقة وليس ببعض أجزائها	٧٦	٠٠	١٢٤
حث المواطنين على التحمل والصبر والتعاون	١٣٦	٠٠	٦٤
تشجيع الجهود التعاونية والتنسيق بينها	١٦٨	٣٢	٠٠
دعم العلاقات الايجابية بين المواطنين	٢٨	١٨	١٥٤

إذا كان الإحساس الجمعي والاهتمام بالمشاركة في حل المشكلات العامة يمثل مطلباً أساسياً لنجاح دور المنظم الاجتماعي بوجه عام، وفي ظروف الأزمات بوجه خاص، فإن هذا الجدول يوضح أن (٧٦) مبحوثاً، أي ما يعادل (٣٨٪) قد أفادوا بأنهم فعلاً إلتقوا وتعاملوا مع مثل هذه النوعية من الرجال، بينما أفادت نسبة (٥٣٪) من المبحوثين أنهم سمعوا عن رجال بالمواصفات المذكورة، ولكنهم لم يلتقوا بهم وجها لوجه، في حين أفادوا (٩٪) من المبحوثين أن الذين ظهروا على ساحة العمل العام لم يكونوا في مستوى المسئولية والإحساس والاهتمام بالمشاركة في حل الأزمات والمشكلات العامة. والواقع أنه أثناء فترة العدوان العراقي لم تكن عملية تسيير شؤون الحياة اليومية للبلاد بالمسألة السهلة بحيث تكون في مستوى يرضى كافة المواطنين لأن السلطة والقوة كانت بيد العدوان، وقامت قواته - بقصد وبغير قصد - بتدمير وإنهاك البنية التحتية والنظام الإداري في التنظيمات

الاجتماعية الرسمية، كما ضيقت الخناق على قيادات العمل الاجتماعي واعتقلت بعضهم وقتلت البعض الأخر ولم تكف عن ملاحقة الآخرين - كل هذه العوامل وغيرها كانت بالتأكيد من معوقات دور قيادات العمل العام .

أما بخصوص دور المنظم الاجتماعي في مساعدة أهالي المنطقة على التوصل لوسائل تحقيق أهدافهم، فإن الجدول السابق يوضح أن (٥٣٪) من المبحوثين دلت إستجاباتهم على وجود قيادات اجتماعية قامت بهذه المهمة، كما نتبين من الجدول نفسه أن (٥ , ٧٣٪) من عينة البحث تفيد استجاباتهم بأن المسؤولين عن العمل الاجتماعي كانوا يمارسون مهامهم على أساس من المساواة بين المواطنين، كما أن (٣٨٪) من العينة تفيد استجاباتهم بعمومية الاهتمام بكل أجزاء المنطقة، وقد تبدو هذه النسبة منخفضة بعض الشيء، ولكن تبين من فحص استجابات بقية المبحوثين أنهم - وإن كانوا أفادوا بنفس المعنى تقريبا- إلا أنهم لم يؤيدوا ذلك بحقائق ملموسة في سياق المعلومات التي أدلوا بها أثناء التحاور معهم.

ونتبين من الجدول أيضاً اهتمام القائمين على العمل الاجتماعي برفع الروح المعنوية للمواطنين، حيث تفيد استجابات (٦٨٪) من المبحوثين أن هؤلاء كانوا يحثون المواطنين على التحمل والصبر والتعاون، أما النسبة الباقية فقد أفادت بأن سمعوا عن هذا الدور لقادة العمل الاجتماعي وإن كانوا لم يخبروه بصفة شخصية (وبالتالي لم تتضمن إستجاباتهم وقائع مؤكدة).

وبينما تفيد استجابات (٨٤٪) من عينة البحث أن قيادات العمل الاجتماعي كانت تعمل على تشجيع الجهود التعاونية والتنسيق بين هذه الجهود، فإن (١٦٪) أفادوا بعكس ذلك (مع سرد وقائع محددة) وقد يرجع ذلك إما إلى نقص الخبرة بالعمل الاجتماعي أثناء الأزمات أو إلى العراقيل المرتبطة بظروف العدوان العراقي، ومن جهة أخرى تشير بيانات الجدول السابق إلى إنخفاض نسبة القائلين بأن قيادات العمل الاجتماعي كانت تعمل على دعم العلاقات الايجابية بين المواطنين، حيث لم تتعد نسبة القائلين بذلك (١٤٪)، بينما أفاد (٩٪) بأن هذه القيادات كانت بعض تصرفاتها تفسد العلاقات بين المواطنين. أما بقية المبحوثين والذين يمثلون الأكثرية (٧٧٪) فقد جاءت استجاباتهم مؤكدة معنى واحد هو: إن العلاقات كانت إيجابية بين المواطنين، ولم يكن الأمر في حاجة إلى قيادات العمل

الاجتماعي لتضفي صفة الإيجابية على تلك العلاقات.

على ضوء هذه النتائج نتبين أن ظروف العدوان العراقي وجهت بخلفية إجتماعية خصبة تنبت فيها قيادات ومبادرات تسعى إلى التعامل الفاعل مع تلك الظروف، وأن المبادرين الذي نبتوا وتدعم وجودهم في هذه القاعدة أو الأرضية قاموا بدور أساسي في التكامل الإجتماعي من وجهة نظر أكثرية المواطنين، وأن هؤلاء «المبادرين» أو الذين تولوا دور المنظم الإجتماعي قد واجهتهم صعوبات ملحوظة إما بسبب ضغوط العدوان وغشومته، أو بسبب قلة خبرتهم، أو بسبب بعض الأنماط الثقافية السائدة. ويعتقد الباحث - على ضوء خبرته ومعايشته لظروف المجتمع الكويتي أثناء العدوان، ووقوعه في الأسر، أن بعض مظاهر عدم الرضا عن بعض جوانب دور المنظم الإجتماعي لا تخرج عن هذه الأسباب الثلاثة.

(جـ) مؤشرات التكامل النفسي الاجتماعي كما تعكسها خصائص العلاقات الاجتماعية.

إن كثيراً من اتجاهات الفرد تضرب بجذورها إلى الجماعات التي ينتمي إليها، وهي تعكس معتقدات وقيم ومعايير تلك الجماعات، ولكي يحتفظ الفرد بما لديه من اتجاهات فإنه يحتاج إلى دعم الآخرين الذين يحبهم وينتمي إليهم. كما أن الإنحراف عن الغالبية لا يمكن أن يستمر طويلاً، والخارج على الإجماع يبحث عن أتباع ومؤيدين من أجل تحقيق الدعم الاجتماعي، فإذا لم ينجح في ذلك فإنه سوف يستسلم ويذعن للغالبية، معنى ذلك أن الإنسان في حاجة إلى دعم الآخرين ومشاركتهم له، وتزداد هذه الحاجة إلحاحاً في أوقات الشدة التي يمر بها الفرد، ومن استقراء بعض الخصائص النفسية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الكويتي نتبين أنه يشمل سمات طبيعية تعزز إشباع الحاجة إلى الدعم والمؤازرة من الآخرين، فالوحدة القبلية في كويت ما قبل النفط لم تكن وحدة إقليمية وإنما كانت وحدة قرابية، بمعنى أنه لم يكن هناك ضرورة تقليدية لمناطق إقامة القبائل في الصحراء الكويتية، ولكن كان لكل وحدة قبلية الحق في أن تقيم حيث تشاء داخل الوطن، وبالتالي فإن الجماعات القبلية في المجتمع الكويتي التقليدي، لم تتخذ صورة التجمعات الانقسامية التي يتناظر فيها التوزع القرابي، والتوزع الاقليمي كما هو الشأن في بعض التجمعات القبلية بالمناطق العربية الأخرى (محمد محجوب، ١٩٧٧)، هذه الخاصية

ساعدت على تقوية العلاقة وتمتين الروابط وثراء الصلات بين المواطنين الذين ينتمون إلى أصول قبلية مختلفة، فالكويتي في ساعة الشدة، كان يجد الدعم والتعبير عن المساندة ليس فقط من قبيلته، ولكن أيضاً من أعضاء القبائل الأخرى الذين كانوا يتواصلون معه ويتواصل معهم، وعندما أخذت الدولة بالنظم الحديثة في القانون والإدارة تدعم الانصهار الإجتماعي، حيث أتيحت الفرص المتكافئة لكل المواطنين، وأصبح الجميع سواسية أمام القانون والاستفادة من الخدمات وعائد الثروة النفطية ... الخ، هذه العوامل كانت ذات أثر بالغ في التقارب والتآلف الإجتماعي وإتاحة المساعدة والعون المتبادلين بين المواطنين الكويتيين في السراء والضراء وحين البأس.

ولم يكن في تاريخ المجتمع الكويتي حدثاً أشد خطورة من العدوان العراقي الذي داهم الجميع في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ لقد وجد الجميع أنفسهم في حاجة إلى المساعدة والدعم من بعضهم البعض قبل أن يجدوا أنفسهم في حاجة إلى الدعم الخارجي. من هنا حاولت الدراسة أن تقف على طبيعة بعض جوانب التكامل النفسي الاجتماعي كما تعكسها العلاقات الاجتماعية في المجتمع الكويت أثناء العدوان العراقي ، وذلك حسب آراء المبحوثين وخبراتهم الذاتية فيما يتعلق بالجوانب الآتية :-

- التعبير عن الألفة والتعاطف في العلاقات الاجتماعية.
- المجاملات الاجتماعية.
- الدعم النفسي والاجتماعي المتبادل.
- الثقة في المعاملات المتبادلة عن الوضع الداخلي.
- الثقة والصدق في الوفاء والإلتزام بالمسؤولية .
- المشاركة في إنجاز مهام عامة .
- الإستعداد للمشاركة في إنجاز مهام عامة.
- التضحية من أجل الآخرين .
- تكامل وتآزر الجهود للتخفيف من صعوبات الحياة اليومية .

والجدول الآتي يجمل إستجابات المبحوثين بشأن هذه الجوانب.

جـــدول (٦)
مؤشـرات التكامل النفسي الإجتماعـي
من منظـور خصائـص العلاقـات الإجتماعية

المـؤشـــرات	نـمـــط الإســتجابـة		
	نـعـــم	لا	غير محـدد
التعبـيـــر عـــن الألفـــــة والتـعـاطـــف	١٤١	٢٣	٣٦
المجـــــامـــــلات الإجتماعيـــــة	١٧٦	٠٠	٢٤
الدعـم النفسي والإجتماعي المتبـادل بين المواطنين	١١٦	٠٠	٨٤
الثقة في المعلـومات المتبادلـة عن الوضـع الداخلي	٤٨	٠٠	١٥٢
الثقـة والصدق في الـوفاء والإلتـزام بـالمسؤوليـة	٢٠	٠٠	١٨٠
المشـــاركـــة في إنجـــاز مهـــام عـــامـــة	٨٧	٠٠	١١٣
الاستعـداد للمشـاركـة في إنجـاز مهـام عـامـة	١٨٧	٠٠	١٣
التضحيـــــة مـــن أجـــل الآخـــريـــن	٨٩	٠٠	١١١
تكامل وتآزر الجهود للتخفيف من صعوبة الحياة اليومية	١٥١ *	٤٩	٠٠

* الايجابية هنا بصفة جزئية حسبما يتبين فيما بعد .

تجدر الإشارة أولاً إلى أن تكـرارات الإستجابات غير المحددة تـدل على أن المبحوثين لم يخبروا تلك المواقف، ولم يخبروا نقيضها، على سبيل المثال نلاحظ أن ٩٠٪ من المبحوثين - (١٨٠) مبحـوث - جـاءت إستجابـاتهم غير محددة بشـأن الـوفـاء بما تـم الإلتزام بـه مـن مسؤوليات. هذا معنـاه أن هؤلاء المبحوثين - ببساطة - لم يتذكروا مواقـف حدثت معهم بصفة شخصية من هذا القبيل، ولم يخبروها مـع غيرهـم سواء كان المتعهد قد أوفى بعهده أو لا. المنطق نفسـه تقريبـاً في بقية المؤشرات المتضمنـة بالجدول، فهنـاك مثلا (٥,٦٪) مـن المبحوثين أفادوا بـأنهم لا يمكنهم أن يجزموا - نفياً أو إثبـاتاً - بأنهم لمسوا الإستعـداد لدى

الآخرين للمشاركة في إنجاز مهام عامة في إطار العمل الاجتماعي أثناء الإحتلال، كما أن ١٢٪ لم يتذكروا مواقف محددة، ولم يفيدوا بوقائع محددة بشأن وجود المجاملات الاجتماعية من عدمه ... وهكذا. إذا ما انتقلنا إلى متضمنات الجدول، نلاحظ أن استجابات (١٤١) حالة، أي ما يعادل (٥ , ٧٠٪) تفيد أن المودة والألفة والتعاطف بين المواطنين كان مرتفعاً أثناء فترة العدوان العراقي مقارنة بما كانت عليه الحال قبل ذلك العدوان، أما النسبة الباقية وقدرها (٥ , ٢٩٪)، أي ما يعادل (٥٩) حالة فقد أفاد (٣٦) منها بأنها لم تلمس تغيراً في هذا الجانب أثناء فترة العدوان العراقي عما كان قبله، وأفادت تقارير (٢٣) حالة بأن المودة والألفة بين المواطنين قد إنخفضت مقارنة بما كانت عليه قبل العدوان العراقي، أما بخصوص المجاملة والتعبير عن المحبة في علاقة المواطنين بعضهم ببعض، فقد أفادت تقارير (٨٨٪) من الحالا ت بأنهم خبروا العديد من المواقف التي تجسد ذلك، بينما أفاد (١٢٪) بأنه لم يكن هناك مجال للمجاملة أو التعبير عن المحبة، وقد تضمنت تقارير هذه الحالات وعددهم (٢٤) حالة عبارات تدل على النقد المرير لأسلوب تنظيم العمل في المجتمع أثناء فترة العدوان، في الوقت الذي عبروا عن جام غضبهم ونقمتهم على أسلوب تعامل العراقيين مع المواطنين، وكذلك على بعض أفراد الجاليات العربية التي بقيت في الكويت.

إن ما أفاد به المبحوثون بشأن المودة والألفة في العلاقات الاجتماعية ، وكذلك المجاملات بين المواطنين أثناء العدوان العراقي، إنما تعكس خبرتهم الشخصية في سلوكيات تلاحظ وأفعال ومواقف ... الخ. ومثل هذه الأمور ذات دلالة بالغة للتكامل النفسي والاجتماعي لأنها تتعلق بعمق الإحساس النفسي والتعبير العملي بشأن ضرورة مواجهة الخطر المشترك الذي يهدد الجماعة، كما أنها تتعلق بعمق التآلف الاجتماعي، الذي يمثل الأوالية التي تنعقد من خلالها العلاقة الإنسانية والتي من خلالها تعبر عن ذاتها بأشكال متعددة، بالاضافة إلى ذلك ، فإنها تتعلق بمدى رسوخ بعض الأسس النفسية للتكامل الإجتماعي.

كما نتبين من الجدول السابق ، أن (٥٨٪) من المبحوثين دلت إستجاباتهم على وجود الدعم النفسي والاجتماعي المتبادل بين المواطنين أثناء العدوان العراقي ، أما النسبة الباقية (٤٢٪) فلم تؤكد ذلك أو تنفيه. وقد تبين أن الذين أفادوا بالتأكيد، سردوا العديد من

الحقائق والوقائع المرتبطة بمواقف إنسانية تعبر عن المواساة والتعزية المرتبطة بخسارة أو فاجعة نتيجة المآسي التي ارتكبتها قوات العدوان العراقي ضد الشعب، وقد دارت هذه المواقف حول عمليات السلب والنهب، والاعتقال، والتعذيب، وتفتيش المنازل وإهانة أهلها، وحالات الاستشهاد والوفيات، وقد ورد في تقارير بعض المبحوثين - عبارات وكلمات مؤثرة تكشف عن عمق التجربة المعاشة والمعاناة من الموقف، كما تبين من استجابات المبحوثين أن بعض الأفراد والأسر الكريمة قاموا بتقديم المساعدات النقدية والعينية للمحتاجين، ولم يقتصر تقديم المساعدة على الأفراد والأسر المنتمين للعائلات المعروفة بالثراء، وإنما قام به عائلات وأفراد من عامة الشعب ، وتمثلت المساعدات التي وردت في تقارير المفحوصين في الدعم المالي بصفة منتظمة أحياناً وغير منتظمة أحيانا أخرى، الأغذية والملابس والأغطية (وقد ورد في ثنايا تقارير أن بعض الأسر المقتدرة تكفلت بالاعاشة الكاملة لعدد من الأسر غير المقتدرة). وهكذا نجد أن الدعم الإجتماعي المتبادل بين المواطنين الكويتيين، إنما وجدت له ممارسات فاعلة على ساحة الحاضر، بإعتباره من المتطلبات الضرورية للصمود أمام العدوان العراقي وتخفيف المعاناة الناتجة عنه من جهة، وبصفته تعبيراً عن تقاليد راسخة في عمق الشخصية الكويتية من جهة ثانية، وهنا نجد أن الدعم الاجتماعي من المنظور النفسي، لا يعبر عن سيكلوجية مقهورة لسبب بسيط وهو أنه واكبته المقاومة المسلحة والمواجهة المباشرة، والاستعداد ليوم نزال عظيم، وعدم تقبل المعتدي أو الاستكانة له [٣] .

الاستنتاج الآخر الذي تتبينه من الجدول السابق، يتعلق بالثقة المتبادلة بين المواطنين الكويتيين أثناء العدوان العراقي : إلى أي حد كان هؤلاء المواطنون يدركون سيادة الثقة المتبادلة في العلاقة بينهم أفرادا وجماعات ؟ إن سؤالا بمثل هذا الاتساع يحتاج بالتأكيد إلى دراسة كاملة، وربما أكثر من دراسة. من هنا تم تحديد المسألة في جانبين : **الأول** هو ما إذا كان المبحوثون قد خبروا مواقف تأكدوا فيها من صدق المعلومة التي أخبرهم بها مواطنون آخرون، **والثاني** هو : ما إذا كان هؤلاء المبحوثون قد خبروا مواقف تأكدوا فيها من صدق مواطنين آخرين في الالتزام بأداء المسؤوليات التي كانوا قد التزموا بها. وقد تبين من تحليل تقارير المبحوثين أن (٦٨٪) منهم لم يخبروا أي من هذين الموقفين ولا نقيضهما، فلم يمروا بظروف تؤكد أو تنفي أي منهما. أما النسبة الباقية (٣٢٪) أي ما يعادل (٦٤) مفردة، فقد

أفادت (٤٠) حالة منهم أنهم خبروا الموقف الأول دون الثاني، وأفادت (١٥) حال بأنهم خبروا الموقف الثاني دون الأول، بينما أفادت (١٣) حالة بأنهم خبروا الموقفين، غير أن تقارير جميع الحالات قد أفادت صراحة بأن الثقة المتبادلة كان هذا الطابع السائد في العلاقة بين الأفراد والجماعات من المواطنين، وإن كانوا لم يدللوا على ذلك بأمثلة وحقائق محددة، بوجه عام تكشف نتائج الدراسة والتجربة الشخصية للباحث عن أن الثقة المتبادلة كانت تدمغ العلاقة والتعامل بين المواطنين بدليل أنه لم يظهر موقف واحد يتحرج فيه المواطنون من التحدث مع بعضهم البعض، ولم يحدث مثلا أن تشككوا - مجرد شك - في وجود خائن الأمانة وهذا يفسر جانباً هاماً لنجاح العمل الاجتماعي العام أثناء العدوان العراقي وتؤكد الأدبيات الاجتماعية النفسية كثيراً، على أن مقومات التكامل الاجتماعي تتدعم إذا وجدت الثقة المتبادلة بين أعضاء الجماعات بصفة عامة، وتذهب بعض الدراسات الحديثة إلى أن مثل هذه الثقة تمثل عاملاً أساسياً في استقطاب أعضاء جدد وتمسك الأعضاء الحاليين بالجماعة والعمل على تقوية وجودها. وهناك عناصر استراتيجية لتدعيم الثقة لدى الجماعات التي تشعر بالشك والإرتياب، والتي تتضمن تحديد المظاهر المعبرة عن ذلك وأسبابها وطبيعتها الزمنية وتحليل خصائصها من المنظور النفسي والاجتماعي بما في ذلك تحليل الأنماط الثقافية المعبرة عن الشك والارتياب ثم التعامل معها بالمناقشة والحوار والتأكيد العملي على ما يجعل الثقة المتبادلة تسود بين الجماعات في المجتمع، كل ذلك بهدف نشر وترسيخ الثقة بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع والنظم الاجتماعية فيه (Marcus, 1994)، ولقد حرص العدوان العراقي من خلال أجهزة استخباراته وعملائه على نشر الشائعات والأفكار والقيام بالممارسات التي كانت تهدف إلى نزع الثقة بالنفس والقيادة لدى الشخصية الكويتية للحيلولة دون وجود رؤية جماعية وجهد وطني موحد ضد رموزه وقواته.

أما بخصوص التعاون والمشاركة في إنجاز مهام مشتركة، فإن الجدول السابق يوضح أن (٨٧) حالة أي ما يعادل (٥, ٤٣٪) أنهم ساهموا مع الآخرين في إنجاز مهام مشتركة (لاحظ أن سير المقابلة كان يتجه بالنقاش إلى التأكد الشديد من صدق ما يدلي به المفحوصون من معلومات وآراء كما أن الباحث كان يعرف بعض المبحوثين الذين ساهموا في أعمال مشتركة سواء من خلال (جماعات) أو (مجموعات). أما عن هذه الأعمال فقد

تمثلت في : توفير أو توزيع الأموال والمواد الغذائية، الخدمات الطبية إصلاح الكسور والتلفيات في المرافق والشوارع، بالإضافة إلى الأعمال العسكرية (وقد أفاد بهذه الأعمال الأخيرة ١٧ حالة) سواء كانت تلك المساهمة بشكل مباشر أو غير مباشر، قتالية أو تجسسية. في الوقت نفسه أفادت تقارير (١٨٧) حالة، أي ما يعادل (٥ ,٩٣٪) بما يؤكد الرأي في أن المواطنين كانوا مستعدين للمساهمة في الأعمال المشتركة. أما الحالات الباقية (١٣) حالة، أي ما يعادل (٥ ,٦٪) من العينة فقد أفادوا بأنهم غير متأكدين من ذلك. وهكذا يتضح لنا ارتفاع نسبة المساهمة في الأعمال المشتركة، وارتفاع نسبة القائلين بالاستعداد لهذه المساهمة. وإذا كان ذلك من متطلبات التكامل الاجتماعي، فإنه في الوقت نفسه هدف له، وهذه النتيجة تظهر وجود الاستعداد النفسي والقابلية العملية لدى الشخصية الكويتية تجاه التكامل الاجتماعي، بل إن الظروف الصعبة الناتجة عن الإحتلال حتمت ضرورة ذلك بسبب حاجة كل فرد إليه، وتستند هذه الفكرة إلى خلفية علمية قوية، فمن الثابت مثلاً أن الجماعة تنشأ أو تتولد تحت وطأة الحاجة التي يعيشها كل فرد من الأفراد كنقص أو كاحتياج يتحول إلى مبادرة أو فعل يبحث عن إمكانيات إشباع هذه الحاجة إنطلاقاً مما يدركه في محيطه الفيزيائي والاجتماعي، حينها يبدو التآزر والتعاون مع الآخرين بمثابة الوسيلة المثلى لتحقيق هذه الحاجة، وهناك أيضاً لوازم أو شروط ضرورية لا تنفك عن تشكل الجماعة : وجود حاجة معينة، إدراك مصالح متوافقة، تنظيم علاقات بين الأشخاص، وترتبط هذه الشروط بالتعاون بين أفراد الجماعة (وكذلك المجموعة) لأداء أعمال ومهام مشتركة. ولقد نتج عن العدوان العراقي صعوبات واضحة وعوائق أمام المواطن الكويتي في إشباع حاجاته، وأدرك المواطن تلقائيا ضرورة العمل المشترك سواء لإشباع الحاجات أو لمقاومة العدوان وذلك من منطلق الوعي بالمصالح المتوافقة بين المواطنين، وهكذا بدأت (الجماعات) تظهر، وبدأت (المجموعات) تتشكل من أجل إنجاز مهام مشتركة.

المؤشر الآخر هو التضحية من أجل الآخرين، وقد هدفت الدراسة من هذه المسألة معرفة مدى إقدام المواطن الكويتي على مساعدة الآخرين - أيا كانت هذه المساعدة - رغم أن ذلك يمكن أن يعرضه للمخاطر، وعلى ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة في هذا الشأن تبين أن (٥ ,٤٤٪) من المبحوثين أي ما يعادل (٨٩) حالة أفادت بأنهم خبروا

مواقف من هذا القبيل ، ووصل الأمر إلى حد الاشتباك (المسلح) مع أفراد قوات العدوان لمنعهم من اعتقال أحد أفراد الأسر القاطنة بمنطقة السالمية ، أما المواقف الأخرى التي وردت في تقارير المبحوثين بشأن خبرتهم الشخصية بالمواقف التي تبرهن التضحية من أجل الآخرين فإنها تتمثل في : الذهاب لتلبية الحاجات والمصالح للآخرين رغم أن ذلك يجعل الذاهب عرضة لإطلاق الرصاص عليه من قبل جنود العدوان، أو يجعله عرضة للاعتقال والتعذيب، حمل المتفجرات والأسلحة والذخائر من مكان إلى مكان لاستخدامها في أغراض المقاومة، التبرع بالدم لانقاذ حياة المصابين ... الخ، وعلى المستوى النظري فإن التضحية من أجل الآخرين تمثل قيمة إنسانية نبيلة، أما على مستوى العلاقة بين أعضاء الجماعة وأفراد المجموعات، فإنها تجسد قمة الامتثال للمعايير السلوكية وقوة الاتجاهات الايجابية المشتركة وشدة تماسكهم كأعضاء في تنظيم اجتماعي واحد، وإذا كان العدوان العراقي - بكل أساليب الوحشية والقمعية - لم يتمكن من الحيلولة دون التأكيد العملي لقيمة التضحية في المجتمع الكويتي فإن ذلك دليل واضح على وجود الخلفية النفسية والاجتماعية لدى الشخصية الكويتية بما يمكن من وجود التنظيم الفعال لمقومات التكامل الاجتماعي في اتجاه المصلحة العامة والأهداف المشتركة، بما تتمكن معه تلك المقومات من أن تجب أو تبطل تأثير المعوقات الداخلية وعوامل الضغط الخارجي الهادف إلى التفتيت والتنافر.

أخيراً وبخصوص توالد التآزر الاجتماعي على مستوى المجتمع، سبقت الإشارة - في الخلفية المرجعية لهذه الدراسة - إلى أن عملية التكامل الإجتماعية تنتقل بفعل عمليات التغاير التي تتجه بالتآزر من مستوى إلى مستوى تآزري جديد أكثر ارتقاء وكفاءة، ويتوقف ذلك بطبيعة الحال على القدرة والكفاءة الاجتماعية في استثمار إيجابيات التغاير من خلال محاولة التوفيق والتبادل في إتجاه تكامل القدرات والموارد الاجتماعية في المجتمع، ولتوضيح هذه الفكرة نقول إن المجتمع قد يخبر تغايراً في المواقف أو الآراء أو السلوكيات تجاه قضية معينة، وقد يخبر تغايراً في الفكر الاجتماعي الذي يوجه المصادر وموارد القوة التي تمتلكها الفئات الاجتماعية أو في الموارد العامة بالمجتمع، فبعض هذه الفئات مثلاً قد يمتلك المال، والبعض الآخر يمتلك الرجال، فإذا ما كان هناك الكفاءة الاجتماعية القادرة على إحداث التكامل بين الفئات المختلفة، أمكن للمجتمع أن يتآزر في كل واحد في اتجاه

تحقيق الهدف المشترك، وهذا التآزر في صورته الحاسمة لا يتحقق في العادة مرة واحدة، إنه يبدأ (مضعضعاً) بعض الشيء، ويمر بمرحلة من التلاؤم، فيزداد التآزر قوة ويولد موجات متتالية من التآزر تستمر إلى أن تبلغ الهدف، ويتوقف ذلك على الكفاءة الاجتماعية التي تديره وتوجهه، كما يتوقف على إيجابية المستهدفين وتوافر الموارد المعنوية والمادية على السواء، لكن ظروف العدوان العراقي وممارساته الوحشية عرقلت فاعليته وتوالد التآزر الاجتماعي في المجتمع الكويتي وإن كانت لم تحول دون حدوثه، ونتبين من الجدول السابق أن استجابات (٥, ٧٥٪) من المبحوثين تفيد بوجود التآزر الاجتماعي، لكن ذلك لم يكن بصورة كاملة، حيث تبين من فحص الاستجابات أن (٥, ٥٨٪) منهم أفادوا بأن ذلك ينطبق فقط على الأغذية والطعام في فترات معينة - وليس كل الفترات - على إمتداد أشهر الاحتلال، وأفاد (٥, ٢٤٪) أن التكامل بين موارد المجتمع بما يجعلها في تآزر متوالد ومتواصل بما يخفف من صعوبات الحياة لم يكن ممكنا لأن الأمر كان فوق طاقة المعنيين بهذه المسألة (وهذا يشير إلى الكفاءة الإجتماعية المحلية المجهضة بفعل ممارسات العدوان) أما النسبة الباقية وقدرها (١٧٪) أي ما يعادل (٣٤) حالة فقد أفادت بأن تكامل الموارد والطاقات وتآزرها قد إنعكس إيجابياً على بعض الخدمات، وإن كان لم يخفف من صعوبات الحياة بسبب تفاقم الآزمات والمشاكل في الخدمات الأخرى.

(د) مؤشرات التكامل النفسي الإجتماعي من منظور التواصل في المجتمع :

سبق أن بينا في الأساس النظري لتلك الدراسة أن الحضارة الإنسانية اعتمدت في قيامها واستمراريتها على التواصل والإبداع ونشير هنا إلى أن التواصل يضمن استمرار الحياة في وجودها، كما يعنى دفع النشاط الاجتماعي والتعبير عن الحضارة إنه ينتقل بالأفراد والشعوب من التعبير الغريزي إلى الإلهام، فيخلق اتفاقاً عاماً بين الأفكار، ويؤكد الشعور بأن الناس يعيشون مع بعضهم البعض، ومن ثم فإنه يعبر عن العواطف والحاجات، إن الحاجة إلى الاتصال برهان كامن في نفس الانسان إلى التطلع لحياة أفضل، ولقد تأصلت في الشخصية الكويتية عبر السنين قوة الروابط والصلات على المستويين الداخلي والخارجي، فمنذ عصر ما قبل النفط كانت التجمعات تضمها روابط قوية في سفن الغوص، وفي مناطق البادية، كما ارتبط الإنسان الكويتي بعلاقات تواصل مع المجموعات الأخرى خاصة في تلك البلدان التي كانت مجالاً لأنشطة اقتصادية وتجارية متبادلة، ومع قدوم

الثروة النفطية تدعم التواصل الاجتماعي من خلال الديوانيات وجماعات الأصدقاء، والروابط القرابية بمستوياتها المختلفة، وقد لاحظ الباحث - أثناء وجوده في الخارج - كثافة وعمق الاتصال بين الطلبة الكويتيين مقارنة بالمجموعات الطلابية من الجنسيات الأخرى، وقد أدت الثروة النفطية والتغيرات التكنولوجية الحديثة إلى زيادة وقت الفراغ، الأمر الذي أدى ضمن عوامل أخرى - إلى تهيئة فرص أفضل للتواصل الاجتماعي، ولعل الزيارات المتبادلة وتنظيم الديوانيات كملتقيات اجتماعية تواصلية مستمرة خير دليل على ذلك، ومع حدوث العدوان العراقي اضطرب التواصل الاجتماعي اضطرابا شديدا، وأصبحت حاجتهم إلى الإتصال أشد، ليس فقط من أجل الحصول على المعلومات التي تمكنهم من فهم البيئة، ولكن أيضاً من أجل الاطمئنان على بعضهم البعض، وتقرير ماذا هم فاعلون، في الوقت نفسه عمل العدوان العراقي جاهداً على عرقلة التواصل في المجتمع بعد أن سيطر على الوسائل الجماهيرية (Mass Media) ليوجهها وفق سياسته، كما قام بالممارسات الوحشية للحيلولة دون التقاء المواطنين وتواصلهم. ولما كان التواصل حاجة اجتماعية وضرورة اقتصادية وقوة سياسية خاصة في مثل تلك الظروف المتأزمة، بجانب كونه لا ينفصل عن التكامل النفسي والاجتماعي، فقد حاولت الدراسة أن تتبين بعض جوانب فاعلية النظام التواصلي في المجتمع الكويتي في سياق العدوان العراقي، وتتمثل هذه الجوانب في :-

- مشاركة المبحوثين في لقاءات جماعية عامة تختص بالتباحث في شؤون المجتمع وممارسات العدوان.
- التواصل مع مواطنين لم يكن للمبحوثين صلات سابقة بهم.
- إنتهاء التواصل مع مواطنين كان للمبحوثين صلات قوية بهم قبل العدوان.
- مطالعة النشرات الصحفية التي كانت تصدرها جماعات المقاومة وجماعات العمل الاجتماعي أثناء العدوان العراقي.

والجدول الآتي يوضح موقف المبحوثين من هذه العناصر من واقع تجربتهم الشخصية.

جـــدول (٧)
مؤشـرات التكامل النفسـي الإجتماعـي
من منظـور خصـائص التواصـل فـي المجتمـع

المؤشـــرات	ك	٪
المشـاركـة في لقـاءات جماعيـة عـامـة	١٧٨	٨٩,٥
التـواصـل مـع أطـراف جـديـدة	١٠٥	٥٢,٥
انتهـاء التـواصـل مع أطـراف سـابقـة	١٤٧	٧٣,٥
مطـالعـة النشـرات الصحـفيـة	*٢٠٠	١٠٠

نتبين من هذا الجدول إرتفاع نسبة الذين شـاركوا في اجتماعات عامة أثناء فترة العدوان العراقـي، وتأتي أهمية هذه الاجتماعـات من أنها كانت تنصب بصفة أساسية على منـاقشة آليات وخطـط التعامل مع شـؤون الحياة اليومية، أو التـواصل مع القيادة الشرعيـة خارج البلاد، أو المقاومة المسلحة للعدوان العراقي. وتجدر الإشارة إلى أن القائلين بأنهم شاركوا في اجتماعات عامـة - حسب النسبة الموضحة بـالجدول (٥ ,٨٩٪)، إنما شاركوا في اجتماع واحد على الأقـل، كما أن بعضهم كـان يشارك في هذه الإجتماعـات بصفة دوريـة مستمرة حسب متطلبـات الموقف ونشـاط المشاركين ... إلخ . . ونتـج عن هـذه المشاركـة بطبيعة الحال نوع من التواصل والإلتقاء مع مواطنين آخرين لم يكن للمبحوثين سابق معرفة بهم. ولكن في الوقت نفسـه نلاحظ من الجدول أن (٥ ,٧٣٪) من المبحوثين أفـادوا بأن صلتهم التي كانت قائمة مع مواطنين آخرين قـد انقطعت أثناء العدوان العراقي، ويرجع ذلك إما إلى وجـود هؤلاء الآخـرين خـارج البلاد، أو إنغماسهـم في أنشطة أخـرى سواء في إطـار العمـل العام أو في إطـار الشؤون اليـومية لـلأسرة، فكأن فترة العـدوان العراقـي بذلـك صـاحبهـا بعض التغيير الملحـوظ في العـلاقـات بين أفـراد المجتمـع خاصـة على مستـوى الجماعات الثانوية.

أما بخصوص مطالعة النشرات الصحفية التي كانت تصدرها بعض جماعات المقاومة وجماعات العمل الاجتماعي، فإنه - وإن كان الجدول يوضح أن جميع المبحوثين قد طالعوا هذه النشرات - إلا أن ذلك كان بمعدل قليل جدا لدى البعض حيث أفاد ٢٩٪ من المبحوثين أنه طالعوا إحدى هذه النشرات مرة واحدة طوال فترة الإحتلال، وفي المقابل أفاد (٥ , ٢٢٪) بأنهم كانوا يطالعون بعض هذه النشرات كل أسبوع، أما النسبة الباقية وقدرها (٥ , ٤٨٪) فقد أفادوا بأنهم كانوا يطالعون بعض هذه النشرات طوال فترة الإحتلال ولكن بصورة متقطعة وغير منتظمة، إن نتائج هذه الجزئية في مجملها تعكس محاولات السعي النشط من قبل المبحوثين للتواصل من أجل الحصول على المعلومات ومراقبة البيئة بهدف التصرف على أساس من الدراية والمعرفة، كما أنها في الوقت نفسه تعكس بعض جوانب قوة التواصل في المجتمع الكويتي أثناء العدوان العراقي بالنظر إلى ممارسات قوات هذا العدوان ورموزه بما شكل عقبات معقدة أمام التواصل بين الأفراد والجماعات والمسؤولين عن العمل الاجتماعي والمقاومة المسلحة .

خاتمـــة

نتبين من هذا البحث عمق التجسيد العملي لمفهوم التكامل حسب عناصره المستمدة من أصول نظرية ، ولقد واكب ذلك التجسيد مظاهر وتعبيرات متعددة بشأن الإنتماء للوطن والتي عكستها استجابات ما يقرب من ٩٠٪ من عينة البحث، من ذلك مثلاً حرق العلم العراقي، وحرق صور رموز العدوان خاصة صورة «صدام» وإعادة المعاني الكويتية إلى الأماكن والجهات التي كانت قوات العدوان قد حولتها إلى عراقية، وإذا كان جميع المبحوثين قد أفادوا بأنهم قد التزموا بالعصيان المدني كمبدأ عام إلا أن بعضهم قد أضاف إلى ذلك سلوكيات أخرى في سياق رفض العدوان ومقاومته من منطلق الامتثال لمعايير اجتماعية تعبر عن سلوك جماعي متفق عليه في هذا الشأن من ذلك مثلاً : الهتاف الجماعي «الله والوطن والأمير» في وقت يحدد سلفاً، إطفاء الأنوار بصورة جماعية إرهاباً للعدوان على أساس أن إطفاء الأنوار في وقت واحد بمنطقة معينة يجعل قوات العدوان تحت طائلة الخوف والإرتباك إعتقاداً بأن ذلك علامة متفق عليها كي تبدأ جيوش التحالف ضربتها ضد تلك القوات.

ولعل من أهم مظاهر التكامل النفسي والاجتماعي في حدود هذه الدراسة عدم وجود خلافات على أساس ديني أو عرفي أو مذهبي، حيث كان المواطنون يتكاتفون من أجل أداء الأعمال والمهام التي من شأنها التخفيف من صعوبات الحياة، وكان هذا التكاتف يضم أفراداً ينتمون إلى أصول عرقية أو مذهبية أو انتماءات دينية مختلفة، كما تؤكد تقارير المبحوثين التجسيد الحقيقي لمعاني المودة والألفة، والثقة المتبادلة، والدعم النفسي والاجتماعي بين المواطنين أثناء المحنة، هذا بالإضافة إلى غلبه الإحساس الجمعي من خلال الاهتمام بالقضايا والمشكلات العامة والاهتمام المشترك بالتعامل الايجابي مع تلك القضايا والمشكلات - كل ذلك في إطار شبكة قوية من التواصل والاتصال داخل المجتمع، إذ أن حوالي ٩٠٪ من المبحوثين قد شاركوا في اجتماعات ولقاءات (خارج دائرة الأهل والأقارب). كما تواصلوا مع آخرين من المواطنين الذين لم تكن لهم معهم صلات قبل العدوان، أي أن الاتصال المواجهي والشخصي كان كثيفاً جداً بين المواطنين على الرغم من القيود والممارسات الوحشية التي قامت بها قوات العدوان العراقي لقطع أواصر التواصل داخل المجتمع وفرض النمط الاتصالي الذي كانت تريده، وقد كان لجهود

التكامل الاجتماعي أثر فعال في إحساس المواطن بقيمته الذاتية والإنسانية جراء تلك الجهود التي بذلت من قبل المجتمع والدولة حيث كان للدولة وجود أساسي في كل ما يخص الشؤون اليومية للمواطن، فمن خلال متابعة الدولة وتواصلها مع المواطنين في الداخل أمكن الحصول على المساعدات المالية، والأغذية والسلاح بصوره المختلفة حتى يتمكن الشعب من الصمود أمام جبروت قوات المحتل. إن هذا التجسيد المكثف والتطبيق العملي لمعاني التكامل النفسي والاجتماعي الذي عاشه المجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي يمكن تفسيره بمجموعة من العوامل المتداخلة والمتفاعلة في آن واحد، أول هذه العوامل يتمثل في حب الوطن : شعباً وقيادة وأرضاً وانتماء وهوية ولا يمكن الفصل بين هذه المكونات، فكان من الطبيعي أن يشكل ذلك منطلقاً للعطاء والتضحية والتآزر بين المواطنين ويساهم في تخفيف المحنة وتجاوزها. العامل الثاني يتمثل في الاحساس المشترك بالخطر والتهديد، فمن الحقائق النفسية والاجتماعية المعروفة أن وجود خطر خارجي يتهدد الأفراد أو الجماعات يدفعهم عادة إلى الوحدة لمواجهته ومقاومته، فيصبح التكامل النفسي والاجتماعي أحد الأساليب الأساسية للمواجهة، العامل الثالث يتمثل في الخصائص النفسية والاجتماعية التي تكونت وترسخت في الشخصية الكويتية على مر السنين بفعل عوامل عرفية وثقافية وحضارية، وتتمثل أهم هذه الخصائص في التمسك بالقيم العربية الأصيلة مثل النجدة والشهامة وإغاثة الملهوف ومساعدة المحتاج، والأخذ بيد الضعيف وحب الحرية وعدم الخضوع للمعتدي، هذه كلها عكستها جهود التكامل النفسي والاجتماعي أثناء فترة العدوان العراقي، ومن الواضح أن محنة العدوان قد أظهرت أصالة معدن الشخصية الكويتية، تلك الأصالة التي لم تضعف أو تذوب مع الرفاهية الناتجة عن الثروة النفطية، (ولعل يكون في ذلك عبرة لمن يعتبر)، وإذا رجعنا إلى جانب مباشر للدلالة للتكامل النفسي والاجتماعي في فترة ما قبل النفط، سنجد الحياة المجتمعية بطبيعتها تحفل بالحقائق، فقد ساعدت الظروف الأيكلوجية على تنوع المناشط الاقتصادية وتكاملها في المجتمع الكويتي، حيث كان البدو مثلا يزاوجون بين الاشتغال بالزراعة المتنقلة لتوفير المحاصيل الاستهلاكية معتمدين على مياه الأمطار القليلة، ثم يتنقلون إلى المناطق التي يتوفر فيها العشب والمرعى، ويعودون إلى التمركز حول مصادر المياه أو الجلبان في فصل الصيف ليذهب البعض منهم إلى العمل في الغوص، معنى ذلك أن التمايز

المهني الذي كان قائماً في كويت ما قبل النفط - لم يؤدي بالضرورة إلى حكر مناشط اقتصادية معينة على فئات معينة دون غيرها، من الفئات الاجتماعية، أما من حيث موطن الاقامة، فقد كان أهل الحضر يقيمون في بيوتهم المبنية ويعملون بالصيد وزراعة الحدائق أو زراعة الخضروات في المزارع المستقرة والغوص والسفر والتجارة، بينما كانت هناك بعض الوحدات القبيلة البدوية من أنصاف الرحل، وليس بخاف على أحد منا وجود أنماط معينة من التكامل والعلاقات التي كانت تربط بين أهل الحضر وأهل البادية آنذاك خاصة فيما يتعلق بتبادل المنافع الاقتصادية، كما انطوت تلك العلاقات أحياناً على محتوى سياسي يتمثل في تعهد أهل البادية بتوفير الحماية والدفاع عن بعض تلك الجماعات الحضرية، وفي كويت ما قبل النفط كان التكامل النفسي والاجتماعي يضرب بجذوره في أعماق المجتمع، هل ننسى مثلاً الوظيفة الاجتماعية لنظام التكافل الذي كان يتمثل في تحقيق نوع من الحماية الجماعية ضد الأزمات الأقتصادية التي يتعرض لها أعضاء المجتمع ؟ ألم يتح هذا النظام الفرصة لتعويض الخسارة والعودة إلى سوق العمل لهؤلاء الذين تعرضت تجارتهم للخسارة أو ابتلع البحر سفنهم، أو أتت النار على بضائعهم ؟

باختصار شديد، فإن التكامل النفسي والاجتماعي في المجتمع الكويتي له جذوره وثوابته في مجتمع ما قبل النفط، حتى وإن كانت هناك تمايزات وفق الانتماءات العرقية أو المذهبية أو الدينية، ثم جاء عصر النفط والاستقلال السياسي وإحلال النظم والمعطيات الحديثة في كافة نواحي المجتمع، فتدعمت عوامل الإنصهار النفسي والاجتماعي في بوتقة واحدة هي «الوطن الكويتي» وعندما وقع العدوان العراقي الآثم اصطدم بأرض راسخة من الانتماء والتكامل الاجتماعي والسياسي بين الشعب والشرعية، وبين الأفراد ومختلف الجماعات. إن وحدة الشعب والقيادة الشرعية في الدفاع عن الوطن والتمسك به هي التجسيد العملي للتكامل النفسي والاجتماعي في أوسع معانيه، وهي التي أمدت هذا التكامل بأسباب القوة والرسوخ، وضخت في شرايينه دماء التجدد والحياة .

الهـوامـــش

(١) على ضوء تـوزيع المواطنين البـالغين من العمـر عشر سنوات فـأكثر حسـب المستوى التعليمـي، فـإن إجماليهـم يبلـغ (٣٨٤٩٥١) مـوزعين على المستـويـات التعليميـة المختلفة، ومـع إستبعاد الـذين تقل أعمارهـم عن (٢٠) سنة، فـإن عدد البـاقين هو (٢٤٤١٦٧) وذلـك على أساس أن الـذيـن تقل أعمارهـم عـن (٢٠) سنـة عددهـم (١٤٠٧٨٤) ، انظر في ذلك :

- وزارة التخطـيط (١٩٩٣) المجموعـة الإحصـائية العـدد الثلاثـون . الكـويت . ص ٣٣. جدول (١٧). وقد تم توزيع العينة توزيعاً متناسباً وفق خصائص فئات البالغين من العمر ٢٠ سنة فأكثـر (وليس) وفق خصائص المواطنين ككل، وذلك لأن هذه الفئات هي مجتمع البحث .

(٢) فالقيم عنصر أسـاسي لتنظيم البناء والعلاقات بين الأنساق الاجتماعيـة وهي أساس إنجـازات السـلوك ودفـع الأفـراد إلى تكويـن الجماعـات وتحقيـق الـرابطـة بين الجماعات :

محمـد سـعيد فـرح (١٩٨٠) **البناء الاجتماعي والشخصية** . القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص ٤٠٤ . ومن الضروري أن الوزن النسبي (للقيمة) يحدد فاعليتها الذاتية وتـأثيرها البنائي، وليس هناك قيمـة تعادل قيمة الانتماء إلى الوطـن خاصة في ظروف مثل تلك الظروف التي ارتبطت بالعدوان العراقي على الكويت، الأمر الذي يضفي أهمية خاصة على السلوكيات المرتبطة بهذه القيمة.

(٣) وهنا نجد أن الدعـم الاجتماعي لا يعبر عن سيكلوجية إنسان مقهـور والتي تتضمن أنتقاء المجـابهة المباشرة وانتقـاء المقاومة العسكـرية ضد المعتـدي، العكس تمامـاً كان موجوداً في حـالة الكويت حيث اقترن الـدعم النفسي والاجتماعي بالمقـاومة المسلحة من خلال جماعات منظمة بجانب أشكال المقاومة الأخرى، للوصول إلى فهم أفضل لسيكلوجية الإنسان المقهور يمكن الرجوع إلى :

المصـــادر والمراجـــع

(أ) المصادر والمراجع العربية :

١ - أحمد مصطفى خاطر (١٩٨٤) : طريقة تنظيم المجتمع الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ص ١٨٧ - ١٩٦ .

٢ - أرجـايل ، مايكـل (١٩٩٣): سيكلوجية السعادة : ترجمة فيصل عبد القادر يونس . مراجعة شوقي جلال . سلسلة عالم المعرفة . رقم ١٧٥ . الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . يوليو . ص ٢٧ - ٤٨ .

٣ - بشير الرشيـدي (١٩٩١) : أضواء على الأحداث : تقاريـر يومية عـن حياة المواطنين الكويتيين تحت الاحتلال العراقي ، مذكرات غير منشورة .

٤ - كـرتشفيلد، ر. س. وآخـرون (١٩٨٤) : سيكلوجيـة الفرد في المجتمـع . تـــرجمة وتعريب حامد عبد العزيز الفقي . الكويت : دار القلم ص ٢٢٦ .

٥ - سهير عبد العزيـز يوسف (١٩٩١) : الإستقرار والتغير في البناء الاجتماعـي : دراسة ميدانية في علم الاجتماع البدوي، القاهرة : دار المعـارف . ص ١١ - ١٤ .

٦ - صلاح الغزالي (١٩٩٢) : سور الكويت الرابع . الجزء الأول والجزء الثاني . الكويت : مطبعة المرزوقي .

٧ - فاخر عاقل (١٩٧٧) : مـدارس علم النفس . ط ٢ . بيروت : دار العلم للملايين . ص ١٤٩ .

٧ - فؤاد أبو حطب وآمال صادق (١٩٩١) : مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربـوية والإجتماعية . ط ١ . القاهرة : مكتـب الأنجلو المصرية . ص ١٥٤ .

٩ - كلوتيه وفرانسوا (١٩٩٢) : الصحة النفسية . ترجمة جميل ثابت وميشال أبي فاضل . ط١ بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . ص ٥٣ .

١٠- كمال دسوقي (١٩٨٧) : **ذخيرة علوم النفس** : المجلد الثاني. القاهرة : الدار الدولية للنشر والتوزيع . ص ١٣٧٧ .

١١- محمد الجوهري (١٩٩٠) : **المدخل إلى علم الإجتماع. سلسلة علم الإجتماع المعاصر.** الكتاب ٦٣ . الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية . ص ١٦٦ - ١٦٧ .

١٢- محمد عاطف غيث (١٩٨٤) : **المشاكل الاجتماعية والسلوك الإنحرافي.** الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ص ٣٣.

١٣ - محمد شفيق (١٩٨٧) : **السلوك الإنساني : مدخل إلى علم النفس.** القاهرة : الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع . ص ١٦ .

١٤- محمد عبده محجوب (١٩٧٧) : **الكويت والهجرة : دراسة للآثار الديموجرافية والإجتماعية للبترول في الخليج العربي** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص ١٥١ .

- مصطفى حجازي (١٩٩٢) **التخلف الاجتماعي : سيكلوجية الإنسان المقهور.** ط٦ . بيروت . معهد الإنماء العربي . ص ١٠٨ .

١٥- مصطفى سويف (١٩٨١) : **الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي: دراسة إرتقائية تحليلية** . القاهرة : دار المعرفة، ص ٧ وما بعدها .

١٦- موراي. إدوارد ج. (١٩٨٨) : **الدافعية والإنفعال** . ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة. مراجعة محمد عثمان نجاتي. ط ١ القاهرة : دار الشروق ص ١٨٧ .

١٧- هورغ. ج. ب وآخرون (١٩٩١): **الجماعة والسلطة والاتصال**. ترجمة نظر جاهل. ط١ . بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . ص ٤٣ .

١٨- اليونسكو (١٩٨١) : **أصوات متعددة وعالم واحد** . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . ص ٧٤ .

19 - Calboun, Graig (1991): **Indirect Relationships and imagined Communities :** Large Scale Social Integration and the transformation of everyday life in : Pierie Bourdieu & James Samuel coleman (eds) Social theory for a changing soceity Boulder. Westview press. PP 95 - 130.

20 - Chatters, M. Linda & Taylor Robert, (1990) : Social Integration. in : Zev Hareletal (eds) Black aged : **Understanding diversity and Service needs.** New buty park: sage publications Inc. PP 82 - 99.

21 - Marcus, E.R. (1994) Paranoid symbol formation in Social organizations. in : John, M. Oldham & Stanely Bone (eds) **Paranoia : New Psychoanalytic perspectives.** Madison : international univ. press inc, PP 81 - 94.

ورد البحث للمجلة في ٢٢/ ٦/ ١٩٩٥ وأعيد بعد تعديله في ٤/ ١١/ ١٩٩٥ وأجيز للنشر في ١٥/ ١١/ ١٩٩٥

SOCIAL AND PSYCHOLOGICAL INTEGRATION OF THE KUWAITI CITIZENS DURING THE IRAQI OCCUPATION

Basheer Saleh Al Rashidi,

The Iraqi Aggression on Kuwait in August 1990, was like a total community disaster which needs a social and psychological integration to deal with it, for holding the gregarious' existence and facing threats.

As such integration shed light on the most important characteristics of the Kuwait patriotic character, the current study aims at studying the facts of the social and psychological integration of the Kuwaiti citizens during the Iraqi aggression.

This study was framed in a theoretical form as the sides of the integration which to be studied was indicated.

The study was based on a systematized plan appropriate to the goal required. Also an appropriate questionnaire was used, in addition to that there were interviews which have been conducted to a random sample consisting of 200 Kuwaitis aged 20 years and above.

The findings of the study confirm the concept of the psychological and social integration. It was practically found during the invasion. It was represented in expressing sense of belonging to their ideological differences on the group work that aims for pulling together and helping each other for facing life difficulties, also these were mutual feelings of empathy, trust and attachments, common interest and group thinking was dominated in dealing with the issues and problems resulted from the aggression, interconnection was deeply rooted inspite of the restriction imposed by the Iraqi forces. The social and psychological integration was like a front against the external changes and threats represented in the aggression and its forces. This integration is interpreted by the pride of the national identity, feeling the danger, which urges people to unite against it, in addition to that there are the psychological and social characteristics that formed and rooted inside the Kuwait personality through the years.